وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي– تبسة Université Echahid Cheikh Larbi Tebessi – Tébessa

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية Echahid Cheikh Larbi Tebessi University – Tebessa

قسم الفلسفة

مطبوعة بيداغوجية في مادة مدارس الفلسفة اليونانية للسداسي الثالث

موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس فلسفة

إعداد الأستاذ: بوعلي مبارك

أستاذ محاضر ب

السنة الجامعية 2023/2022

المحاور الكبرى لمادة مدارس الفلسفة اليونانية حسب ما ورد في عرض تكوين ليسانس فلسفة السنة الثانية L.M.D

وحدة التعليم: الأساسية

المادة: مدارس الفلسفة اليونانية

الرصيد:5

المعامل: 2

أهداف التعليم:

(ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر)

– التعرف عل أهم المدارس اليونانية.

المعارف المسبقة المطلوبة:

(وصف مختصر للمعرفة المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر)

ثقافة عامة

محتوى المادة:

1–عوامل نشأة المدارس الفلسفية اليونانية

أ– العوامل التاريخية.

ب– العوامل الاقتصادية.

ج- العوامل السياسية.

د - العوامل الجغرافية.

هـ - العوامل الفكرية.

2-المدارس الفلسفية الكبرى في اليونان

-المرحلة الأولى: مرحلة التفكير الخرافي (الفكر اليوناني اللاهوتي)

-المرحلة الثانية: مرحلة المدارس الكبرى وهي على النحو الآتي:

أولا: المدرسة الطبيعية أو الكوسمولوجية:

-طاليس(621-550 ق.م)، - أنكسمانس (588- 524 ق.م)

- أنكساغوراس (500 ق.م) ، - هرقليطس (540 - 480 ق.م)

- أمبادوقليس (حوالي 490 ق.م) ،-ديمقريطس (460-370 ق.م)

ثانيا: المدرسة الفيثاغورية: تنسب المدرسة الفيثاغورية إلى العالم الرياضي اليوناني الكبير فيثاغورس

ثالثا: المدرسة السوفسطائية: القرن الخامس قبل الميلاد. هيباس، جورجياس، وكاليكيس، وبروتاغوراس .

رابعا: المدرسة السقراطية: سقراط (486-399م.ق).

خامسا: المدرسة المثالية الأفلاطونية: أفلاطون.

سادسا: المدرسة الأرسطية العقلانية الواقعية: أرسطو طاليس.

سابعا: المدرسة الرواقية: زينون (336-264ق.م)

ثامنا: المدرسة الابيقورية: أبيقور (270-341 ق.م)

تاسعا: مدرسة الإسكندرية: إقليديس، وأرخميديس، واللغوي الفيلولوجي إيراتوستن، وفيلون الإسكندري، وأفلوطين.

- **المراجع:** (*كتب ومطبوعات ، مواقع انترنت*، إلخ...)

- Jacob André et des outres, L'UNIVERS PHILOSOPHIQUE, éditions PUF, Paris,1989.

- Jacob André et des outres, Les œuvres Philosophiques, Tome 1, PUF, Paris, 1990.

- Moreau (J.), Aristote et son école, (PUF)

- Platon , La République , Tr: Robert Baccou , Garnier –Flammarion , Paris.

- Rodis-Lewis (G.), Epicure et son école, Idées-Gallimard.

- **S**chuhl; Pierre Maxime; L'œuvre de Platon, Librairie philosophique J.Vrin; Paris, 1984.

- Strauss ,Leo Et Josep Cropsey L'HISTOIRE DE LA PHILOSOPHIE POLITIQUE, P.U.F, E1, PARIS, 1994.

-Brun (J.), Platon et l'académie, Que sais-je ?/PUF.

-Châtelet (F.), Platon, Folio-Essais.

- أبيقور، الرسائل والحكم، ترجمة جلال الدين سعيد، الدار العربية للكتاب، تونس، د. ط، 1991.

- أحمد بن الدّاية، العهود اليونانية، تحقيق: عمر المالكي، الشركة و.ش والتوزيع، الجزائر 1971.

- كيسيديس، ثيوكاريس، سقراط، تعريب طلال السهل، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1987.

-نجيب بلدى (الأستاذ الدكتور)، تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها، القاهرة: دار المعارف، ضمن سلسلة مكتبة الدراسات الفلسفية، 1962 م.

-يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، (سنة ؟194 م).

- بدوي، عبد الرحمان، خريف الفكر اليوناني.

- بدوي، عبد الرحمان، ربيع الفكر اليوناني.

فهرس محتويات المطبوعة

الصفحة	المحتـوى
02	فهرس محتويات المطبوعة
05	**المحاور الكبرى لمادة مدارس الفلسفة اليونانية حسب ما ورد في مشروع تكوين ليسانس فلسفة السنة الثانية LMD**
08	مدخل إلى مادة مدارس الفلسفة اليونانية
16	**المحاضرة الأولى عوامل نشأة المدارس الفلسفية اليونانية**
16	تمهيد
17	أ- العوامل التاريخية
17	ب- العوامل الاقتصادية
18	ج- العوامل السياسية
19	د - العوامل الجغرافية
20	هـ - العوامل الفكرية
21	**المحاضرة الثانية المدارس الفلسفية الكبرى في اليونان**
21	تمهيد
21	المرحلة الأولى مرحلة التفكير الأسطوري والخرافي واللاهوتي(هوميروس ، هوزيود ، تأثير الحكماء)
23	المرحلة الثانية المدرسة الطبيعية أو الكسمولوجية وهي على النحو الآتي
24	**المحاضرة الثالثة (تابع المدرسة الطبيعية)**

تمهيد	24
المدرسة الأيونية	24
تسميتها ، مقرها ، ممثليها	24
طاليس ، أنكسيمندريس ، أنكسمانس ، هيرقليطس	28
– المحاضرة الرابعة (تابع المدرسة الطبيعية)	**31**
تمهيد	31
المدرسة الإيلية	31
تسميتها ، مقرها ، ممثليها	31
أكسانوفان ، بارمنيدس ، زينون الإيلي	36
المحاضرة الخامسة المدرسة الفيثاغورية	**43**
تمهيد	43
نشأة العلم الرياضي	43
حياة وأعمال فيثاغورس الفلسفية والرياضية	44
مفهوم الفلسفة عند فيثاغورس	46
الرياضيات والموسيقى عند فيثاغورس	48
المحاضرة السادسة المدرسة السفسطائية	**50**
تمهيد	54
السياسة والديمقراطية عند السفسطائيين	54
الشخصيات البارزة للمدرسة السفسطائية	58
بروتاغوراس	59
جورجياس	60
المعرفة عند السفسطائيين	62
المحاضرة السابعة مدرسة سقراط	**63**
تمهيد	65
سقراط والأخلاق	65
منهج سقراط	65
المحاضرة الثامنة مدرسة أفلاطون	**69**
تمهيد	75
المعرفة عند أفلاطون	75

الفلسفة عند أفلاطون	75
نظرية المثل عند أفلاطون	76
حقيقة الإنسان ومصيره	77
الفضيلة عند أفلاطون	78
المحاضرة التاسعة مدرسة أرسطو	79
تمهيد	81
الإنسان عند أرسطو	81
علاقة النفس بالجسد	82
المنطق عند أرسطو	83
المحاضرة العاشر مدرسة أبيقور	83
تمهيد	87
الحديقة والرواق	87
الأخلاق العملية	87
الفضيلة عند أبيقور	89
الزهد عند أبيقور	90
الإنسان عند بيقور	90
المحاضرة الحادية عشر المدرسة الرواقية	90
تمهيد	91
مفهوم الفلسفة عند الرواقيين	91
الحياة السعيدة عند الرواقيين	91
المحاضرة الثانية عشر (تابع المدرسة الرواقية)	92
تمهيد	94
علاقة المنطق الرواقي بالطبيعة	94
المعرفة عند الرواقيين	94
الجدل عند الرواقيين	95
المحاضرة الثالثة عشر مدرسة الإسكندرية	96
تمهيد	99
الإسكندرية من حيث التسمية	99
نشاط المراكز الفكرية	100

الخصائص العامة لفلسفة فيلون	**100**
التأويل الرمزي عند فيلون	**100**
أفلوطين	**104**
المحاضرة الرابعة عشر (تابع مدرسة الإسكندرية)	**104**
تمهيد	**105**
فلسفة أفلوطين	**105**
نظرية الفيض عند أفلوطين	**105**
إستنتاجات ملخصة للمادة	**105**
قائمة المصادر والمراجع المعتمدة	**106**

مدخل إلى مادة مدارس الفلسفة اليونانية:

تتضمن هذه المطبوعة سلسلة من محاضرات مادة مدارس الفلسفة اليونانية ألقيتها على طلبة السنة الثانية ليسانس L.M.D فلسفة، بقسم الفلسفة جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي تبسة ، وفق المحاور المقررة في مشروع فتح ليسانس فلسفة المعد من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .

وقد حاولت أن تتناسب مضامين هذه المادة مع عدد الحصص المبرمجة له خلال سداسي واحد فقط ، لذلك حاولت التركيز على المحاور الأساسية، ومحاولة دمج العناصر الجزئية حتى يتوافق مع أربع عشرة حصة ، وعليه نشير إلى أنه تم الاكتفاء في مادة مدارس الفلسفة اليونانية بالشخصيات الفكرية اليونانية التي تمثل مدرسة بكاملها، أو كان لها الثقل الأكبر في التأسيس للفكر الفلسفي اليوناني.

وقبل التطرق في هذا المدخل إلى عرض أهم ما ورد في هذه المدارس الفلسفية ينبغي التوقف عند مفهوم الفلسفة.

الفلسفة كلمة يونانية $\varphi\iota\lambda o\sigma o\varphi\acute{\iota}\alpha$ مركبة من قسمين ، $\nu\tilde{\iota}\varphi\iota$ و تنُطق فيلين وتعني المحبة أو الصداقة ،و$\sigma o\varphi\acute{\iota}\alpha$ و تنُطق صوفِيًا وتعني الحكمة، أي محبة أو صداقة الحكمة.

ويكون الفيلسوف *Philosoph* هو محب أو صديق الحكمة، ويعُتقد أن أول من استخدم مصطلح الفلسفة هو الفيلسوف اليوناني فيثاغورس *Pythagore* (572- 497 ق م) ،وذلك عندما رفض أن يوصف بالحكيم قائلا: "أنه من الغرور أن يدعي الإنسان لنفسه الحكمة ،واسم الحكيم لا يليق بإنسان قط بل يليق بالآلهة وكفى الإنسان شرفا أن يكون محبا وصديقا للحكمة وساعيا وراءها"[1].

لكن يوجد من يرد المصطلح لسقراط[2]،هذا بالنسبة لاشتقاقها في اللغة اليونانية. وعندما نقلت إلى اللغة العربية نجدها قد حافظت على صياغتها اللفظية إلى حد كبير، أي ترجمت ترجمة لفظية، وهذا في اعتقادي يعد خلل أثر على تداول الفلسفة في عالمنا العربي والإسلامي.

لو تُرجمت كلمة الفلسفة إلى كلمة الحكمة، أي ترجم معناها الإصطلاحي ، لكان وضعها في العالم العربي والإسلامي أفضل مما هي عليه،لاسيما وأن كلمة الحكمة تكرر ذكرها في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (269) البقرة .

وقال عز وجل :

(وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) لقمان (12) ،إلى غير ذلك من الآيات الدالة على مفهوم الحكمة، والتي تحث على التحلي بها ، ورفع مكانة الحكماء.

لكن للأسف لم تترجم إلى الحكمة، فمن المستفيد وراء بقائها أعجمية؟

[1] – عبد الرحمان بدوي ، مدخل جديد الى الفلسفة ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دط ، دت ، ص8.

[2] – المرجع نفسه والصفحة نفسها.

وما الفائدة من محاولة البعض تأويل كلمة الحكمة التي وردت في القرآن الكريم بما يفيد أنها مرادفة للشريعة ،مع العلم أن الشريعة جاءت لكل الناس، في حين الحكمة يأُتيها الله من يشاء من عباده ،كما أن معاجم اللغة العربية لا تشير إلى هذا الترادف ، فالحكمة في لسان العرب لابن منظور هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ،و تقُال لمن يُحسن دقائق الصناعات و يتُقنها، كما تعني العدل والعلم والحلم، وهذه الصفات تجعلها مرادفة للفلسفة وليس الشريعة ،لكن ما يلاحظ على ابن منظور أنه بالقدر الذي اهتم بمعنى الحكمة، نجده يهمل الفلسفة في تناغم كبير بينه و بين من يسعى لاستبعادها من الفكر الإسلامي، فعرف الفلسفة بقوله: "الفلسفة ، الحكمة، أعجمي، وهو الفيلسوف وقد تفلسف"[3] فجاء التعريف في صورة تنكير ،

ولا يتناسب تماما مع أهمية هذا المصطلح، بل كان أقرب إلى التعتيم منه إلى الشرح.

هذا من الناحية اللغوية ،أما من الناحية الاصطلاحية، ليس من السهل العثور على مفهوم اصطلاحي واحد للفلسفة يكون جامعا مانعا، لأن الإجابة على السؤال ماهي الفلسفة؟، يحيلك مباشرة إلى داخل الفلسفة، حيث لا تجد من يحدد مفهوم لها فكل فيلسوف يتخذ تعريفه لها، حسب مقتضيات الموضوع، والمنهج، والغاية ، ومن ثمة نستطيع القول تدل الفلسفة في أوسع معانيها على مجمل المحاولات التي قام الانسان بدافع من المعرفة، وحب الاستطلاع، ليتمثل مجموع الأشياء ومكانه من هذا المجموع[4].

والرسالة التي عساه يضطلع بها في هذا المجموع، وعليه سنقصر الرؤية عند اليونان حيث عرفت الفلسفة لدى اليونان على الأقل ثلاثة مراحل، وفي كل مرحلة كان مفهومها يتغير بالنظر لوظيفتها، فكانت قبل سقراط Socrate (486- 399) ق.م تهتم بدراسة الطبيعة،

[3] – ابن منظور ، لسان العرب ، ص98.

[4] – نبيل مسيعد ، مدخل الى الفلسفة ، مطبوعات جامعة عنابة ، 2022، ص4.

ثم أخذت اتجاها آخر بعده، وفي هذا الصدد يمكن الاستشهاد بفيلسوفين تجمعهما علاقة الأستاذ،

بتلميذه، إلا أن هذه العلاقة لم تكن كافية لتوحيد موقفهما من مفهوم الفلسفة، وأعني بذلك أفلاطون Platon(427- 347) ق م، وأرسطو Aristote(384 – 322) ق.م ، فالفلسفة عند أفلاطون هي علم الحقائق المطلقة الكامنة وراء ظواهر الأشياء، ذلك لأن حقيقة العالم عنده ليس كما نعتقد، فما نراه بأعيننا حسب هذا الفيلسوف لا يمثل الحقيقة، وإنما هو مجرد ظلال وصورة مشوهة عن عالم حقيقي مثالي يمكن إدراكه بالعقل وليس بالحواس، أما أرسطو الفلسفة تعني علم المبادئ والعلل الأولى للوجود، أو هي علم الوجود بما هو موجود ، ذلك لأنه كان يفكر في الأسباب التي تقف وراء الظواهر، وتبين له أن هذه العلل تنقسم إلى أربعة أسباب،

وهي العلة المادية، والعلة الصورية ،والعلة الفاعلة، والعلة الغائية، وعلة العلل هي ما يعرف عنده بالسبب الأول ،ومن خلال ذلك يتبين كيف بدأ الاهتمام بالفلسفة والتأسيس لها من خلال فكرة المدرسة ، وهذا ما نود الاشارة اليه فيما يلي :

يشير بعض الدارسين إلى أن التعليم بدأ شفاها، أو بالاصطلاح الفني "سماعا"، أي ما يسمعه التلميذ عن معلمه، أو ما يسمعه الطفل عن أهله فيحاكيهم. فلما اهتدى الإنسان إلى تسجيل الألفاظ والعبارات بالكتابة والتدوين، أمكن الاحتفاظ بما اهتدى إليه من معرفة والرجوع إليه عند الحاجة، وتأمله والنظر إليه، ومراجعته وتصحيحه، والتقدم به خطوة خطوة إلى الأمام، وأهم من ذلك كلّه فيما يعنينا الآن أنه استطاع القيام بتعليم هذه الألوان من المعارف بطريق منظم، وهو الطريق المعروف بالمدارس والتدريس.[5]

[5] – نبيل مسيعد ، مدخل الى الفلسفة ، مرجع سابق ، ص5.

وبناء عليه فإن **المدارس الفلسفية:** "يُراد بها مجموع أشخاص ينتمون لمعلم واحد يعتنقون مذهبه ولو اختلف نظر كل منهم في نتائج تفكيره".[6]

أما المذهب الفلسفي فيعرّف بأنه: "مجموع عقائد وآراء خاصة بمبدأ أو ببعض مبادئ تفسر ظواهر الوجود".[7]

والمرجح أن قيام المدارس إنما نشأ في عصر متأخر نسبياً في تاريخ الحضارة البشرية، يمكن أن يحدّد على وجه التقريب بالقرن السادس قبل الميلاد من جهة الزمان، وفي بلاد اليونان من جهة المكان، كما نوّه الباحثون بأنه ليس معنى ذلك أنه لم تنهض مدارس فلسفية قبل ذلك في بقاع أخرى من الدنيا المتحضرة، وبخاصة في أرض مصر.[8]

وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أن "المدارس الفلسفية لم تنشأ إلا في بلاد اليونان في القرن السادس قبل الميلاد، وكان بعضها يتخذ للتعليم مقراً ثابتاً، وينزل في دارٍ مُحدّدة، على حين لا يتقيّد بعضها الآخر بمقر ثابت أو دار معروفة، وإنما يأخذ التلميذ عن أُستاذه مباشرة ثمرة لزومه وصحبته، وهذا النوع كان يقتصر على تلميذ واحد، مثل طاليس Thales وتلميذه انكسمندرس Anaxandresse...ومن الواضح أن هذه المدارس التي لم تتقيد بمكان، ولا بتعليم منظم وبرنامج محدد، كانت موقوتة بزمان أصحابها، على حين أن المدارس التي اتخذت دُوراً للتعليم مثل الأكاديمية أو (اللقيون) استمرت زمانا طويلا، وتتابع عليها التلاميذ، واستمرت تؤثر في تيار الفكر المحلي والعالمي على السواء"،[9] ،وعليه نستطيع القول بصفة عامة أن الفلسفة اليونانية مرت بثلاثة أدوار: دور النشوء، ودور النضوج، ودور الذبول.

---

[6] – جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1973، ص358.

[7] – جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص358.

[8] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار العالم العربي، ط1 ، القاهرة ، 2010 ، ص،ص 21،22.

[9] – جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص36.

– **الدور الأول:** فيه مرحلتان: المرحلة المسماة بما قبل سقراط، وهي تمتاز باتحاد وثيق بين العلم الطبيعي والفلسفة، ومرحلة السوفسطائيين وسقراط وتمتاز بتوجه الفكر إلى مسائل المعرفة والأخلاق.

– **الدور الثاني:** يمثله أفلاطون وأرسطو، اشتغل أفلاطون بالمسائل الفلسفية كلها، وجهد نفسه في تمحيصها، ولكنه مزج الحقيقة بالخيال، والبرهان بالقصة، حتى إذا ما جاء أرسطو عالجها بالعقل والاستدلال، ووفق إلى وضعها الوضع النهائي.

– **الدور الثالث:** يمتاز بقراءة المذاهب القديمة، وبالعودة إلى الأخلاق والتأثر بالشرق، والميل إلى التصوف مع العناية بالعلوم الواقعية.

لقد عملت على توزع المادة العلمية لمادة المدارس الفلسفية اليونانية وفق التسلسل الزمني، ووفق الأهمية التاريخية لكل مدرسة على حدة، وجاءت محاضرات هذه المادة وفق أربعة عشرة محاضرة ،بحيث كل مدرسة لها موضوعاتها ومناهجها وأهدافها وبحسب كل شخصية من حيث زمنها وترتيبها التاريخي.

أما **المحاضرة الأولى** : فقد كانت بمثابة مدخل تطرقنا فيه إلى مفهوم الفلسفة، وكذا ركزنا على أهم عنصر فيها، وهو عوامل نشأة المدارس الفلسفية اليونانية وحصرناها في العوامل التاريخية ،والاقتصادية، والسياسية ،والجغرافية، والفكرية.

أما المحاضرة الثانية : فتطرقنا فيها إلى المدارس الفلسفية الكبرى في اليونان من خلال تمهيد، وقسمناها إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى: مرحلة التفكير الأسطوري والخرافي واللاهوتي.

المرحلة الثانية: المدرسة الطبيعية أو الكسمولوجية وهي على النحو الآتي:

واصلنا فيها **المحاضرة الثالثة** حيث تطرقنا إلى تمهيد، و

المدرسة الأيونية: تسميتها ، مقرها ، ممثليها طاليس ، أنكسيمندريس ، أنكسمانس ، هيرقليطس .

المحاضرة الرابعة : تطرقنا فيها إلى تمهيد، والمدرسة الإيلية:

من حيث تسميتها ، مقرها ، ممثليها أكسانوفان ، بارمنيدس ، زينون الإيلي.

والمحاضرة الخامسة : تطرقنا فيها إلى المدرسة الفيثاغورية من خلال

تمهيد، ونشأة العلم الرياضي، وحياة وأعمال فيثاغورس الفلسفية والرياضية وكذلك مفهوم الفلسفة عند فيثاغورس، والرياضيات والموسيقى عند فيثاغورس.

أما المحاضرة السادسة : فكانت المدرسة السفسطائية وضحنا فيها من خلال

تمهيد، والسياسة والديمقراطية عند السفسطائيين، والشخصيات البارزة للمدرسة السفسطائية، بروتاغوراس وجورجياس، وكذلك المعرفة عند السفسطائيين.

أما المحاضرة السابعة: فحاولنا من خلالها التطرق إلى مدرسة سقراط من خلال تمهيد، وسقراط والأخلاق ، ومنهج سقراط.

أما المحاضرة الثامنة: تطرقنا فيها إلى مدرسة أفلاطون من خلال، تمهيد والمعرفة عند أفلاطون، والفلسفة عند أفلاطون، ونظرية المثل عند أفلاطون وحقيقة الإنسان ومصيره، والفضيلة عند أفلاطون.

أما المحاضرة التاسعة : فكانت حول مدرسة أرسطو بينا فيها تمهيد والإنسان عند أرسطو، وعلاقة النفس بالجسد، والمنطق عند أرسطو.

أما المحاضرة العاشر : تطرقنا فيها إلى مدرسة أيبقور من خلال تمهيد، والحديقة والرواق والأخلاق العملية والفضيلة عند أيبقور، والزهد عند أيبقور والإنسان عند أيبقور.

أما المحاضرة الحادية عشر : تطرقنا فيها إلى المدرسة الرواقية تمهيد **و**مفهوم الفلسفة عند الرواقيين، **و**الحياة السعيدة عند الرواقيين

أما المحاضرة الثانية عشر: فكانت تابعة للمدرسة الرواقية تطرقنا فيها إلى

علاقة المنطق الرواقي بالطبيعة، والمعرفة عند الرواقيين، والجدل عند الرواقيين.

أما المحاضرة الثالثة عشر : فكانت حول مدرسة الإسكندرية تطرقنا فيها إلى تمهيد، والمدرسة الإسكندرية من حيث التسمية، ونشاط المراكز الفكرية والخصائص العامة لفلسفة فيلون، والتأويل الرمزي عند فيلون وأفلوطين.

أما **المحاضرة الرابعة عشر:** كانت تابعة لمدرسة الإسكندرية تطرقنا فيها إلى فلسفة أفلوطين، ونظرية الفيض عند أفلوطين ثم خلصنا إلى

إستنتاجات ملخصة للمادة قصد الفهم والاستفادة.

المحاضرة الأولى : عوامل نشأة المدارس الفلسفية الكبرى اليونانية:

عناصر المحاضرة:

تمهيد :

العوامل التاريخية

العوامل الاقتصادية

العوامل السياسية

العوامل الجغرافية

العوامل الفكرية

تمهيد :

لم تظهر الفلسفة بمحض الصدفة، بل هي نتيجة لعدة متغيرات صاحبت المجتمع الإنساني وخصوصا منه اليوناني، حيث انتقل التفكير من مجال (الميثوس) إلى مجال (اللوغوس) بدءا من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الرابع قبل الميلاد ، أي أن ظهور الفلسفة في بلاد اليونان إعلانا عن إحداث قطيعة في التفكير لدى الإغريق، حيث تم الإنتقال من الخطاب الشفوي الأسطوري الذي يعتمد على الأسطورة والخيال والقصص، إلى الخطاب الفلسفي المكتوب الذي يعتمد على الاستدلال العقلي والتفسيرات المعقولة، ومن ثمة إنتاج الأفكار والمفاهيم العقلية المجردة، فالانسان اليوناني تبقى تفسراته عقلية منطقية تعتمد بالدرجة الأولى على البرهان والمنطق في محاولة فهم الوجود والانسان ، وذلك لأن بلاد اليونان قد تفاعلت فيها مجموعة من العوامل والظروف جعلت الفلسفة اليونانية تبرز وتظهر الأمر الذي يجعلنا نطرح التساؤل

ماهي هذه الظروف والعوامل التي ساعدت على ظهور الفكر اليوناني وبلورته في صورته المستقلة الخاصة به.

تلك العوامل نوجزها فيما يلي :

1 – العوامل التاريخية :

إن الحديث عن العوامل التاريخية يعني البحث في الفترات الزمنية الحاسمة في بلورة الفلسفات والتي ساهمت في نشأة الفلسفة اليونانية، ومدارسها حيث ظهرت الحضارة الإغريقية في بلاد اليونان الكبرى مكتملة الوجود ما بين القرنين الخامس والتاسع قبل الميلاد، وتوحدت كثير من القبائل والمدن داخل كيان الأمة اليونانية بعد أن كانت متفرقة في جزر بحر (إيجه)، وآسيا الصغرى ومنطقة (البلقان)، وشبه جزيرة (المورة) وجنوب إيطاليا وصقلية ، وقد أطلق على اليونانيين تسمية الإغريق من قبل الرومان ، لأنهم كانوا يتكلمون الإغريقية، أما هم فقد كانوا يسمون أنفسهم الآخيين ثم الهلينيين[10].

وقد عرفت الحضارة اليونانية في عهد الحاكم الديمقراطي (بركليس) ، نظاما ديمقراطيا ساعدها على التحرر، وانتشار الفكر من خلال امتزاج الثقافات الشرقية والتقاءها بالآخر فتكونت مدينة يسود فيها المناخ الفكري وبالعكس [11]كانت **(إسبرطة)** دولة عسكرية منغلقة على نفسها تهتم بتطوير قدرات جيشها على القتال والاستعداد الدائم لخوض المعارك والحروب ، أما أثينا فكانت هي المعجزة الإغريقية التي تهتم بالجوانب الفكرية ،والثقافية[12]والاقتصادية، وستعرف أثينا في عهد (بريكليس) نظاما ديمقراطيا مهما أساسه احترام الدستور وحقوق المواطن اليوناني .

– عوامل اقتصادية:

[10] – جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ج1 ، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني ، دار المعارف بمصر، ط3 ، القاهرة ، 1976 ، ص227.

[11] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم ، القاهرة ،ص7.

[12] – محمد بيصار ، الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب ، دار الكتاب اللبناني ، دط ، بيروت ، 1973، ص72.

عرفت اليونان نهضة كبرى في المجال الاقتصادي لكونها حلقة وصل بين الشرق والغرب ، وكان لأثينا أسطول تجاري بحري يساعدها على الانفتاح والتبادل التجاري بين شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد ساهم اكتشاف المعادن في تطوير دواليب الاقتصاد اليوناني، وخاصة الحديد الذي كان يصهر ويحول إلى أداة للتصنيع .[13]

ونتج عن هذا الازدهار الاقتصادي رخاء مالي واجتماعي وسياسي وفكري ، وتبلورت طبقة الأغنياء التي ستتنافس على مراتب الحكم والسلطة وتسيير مؤسسات الدولة التمثيلية لتسيير شؤون البلاد، وتلك الحركة الإقتصادية ساعدت على البحث عن أنظمة اقتصادية هذه الأخير ساهمت في التطور الفكري لدى اليونان .

العوامل السياسية :

لم تصل اليونان إلى حضارتها المزدهرة إلا في جو سياسي ملائم لانبثاق مقومات هذه الحضارة، فقد تخلصت الدولة (المدينة)، وخاصة أثينا من النظام السياسي الأوليغارشي القائم على حكم الأقلية من نبلاء ورؤساء وشيوخ القبائل والعشائر الذين كانوا يملكون الإقطاعيات و الأراضي الواسعة، التي كان يشتغل فيها العبيد الأجانب ، وثار الأغنياء اليونانيون الجدد على الأنظمة السياسية المستبدة كالنظام الوراثي والحكم القائم على الحق الإلهي أو الحق الأسري .

ومع انفتاح اليونان على شعوب البحر الأبيض المتوسط وازدهار التجارة البحرية ونمو الفلاحة والصناعة والحرف، ظهرت طبقات جديدة كأرباب الصناعات والتجار الكبار والحرفيين وساهموا في ظهور النظام الديمقراطي وخاصة في عهد (بريكليس) و(كليستين) ، ذلك النظام الحر الذي يستند إلى الدستور، وحرية التعبير والتمثيل والمشاركة في الانتخابات على أساس المساواة الاجتماعية ، بل كانت تخصص أجرة عمومية لكل من يتولى شؤون

[13] – لبيب عبد الستار، الحضارات ، دار الشرق ، ط6 ، بيروت ،1974 ، ص134.

البلاد ويسهر على حل مشاكل المجتمع، وبذلك فقد ساعد الجو السياسي الحضارة اليونانية على ازدهارها ومن ثمة انبثاق مقومات الحضارة[14].

4 – العوامل الجغرافية :

إذا استعدنا موقع اليونان الجغرافي إبان ازدهارها، فهي تطل جنوبا على جزيرة (كريت) العظيمة ، ويحيطها شرقا بحر (إيجة)، وآسيا الوسطى التي كانت تمد اليونان بمعالمها الحضارية وثقافات الشرق ، وفي الغرب عبر أيونيا تقع إيطاليا وصقلية وإسبانيا ، وفي الشمال تقع مقدونيا .

عرفت أثينا نشاطا فكريا، وفلسفيا كبيرا بفضل الموقع الجغرافي والنشاط التجاري، ونظامها السياسي الديمقراطي وتمتع الأثيني بالحريات الخاصة والعامة وإحساسه بالمساواة والعدالة الاجتماعية في ظل هذا الحكم الجديد . فأصبحت أثينا إحدى المدن التجارية العظيمة في العالم القديم ، وتحولت إلى سوق كبيرة وميناء ،ومكان اجتماع الرجال من مختلف الأجناس والعادات والمذاهب وحملت خلافاتهم واتصالاتهم ومنافساتهم إلى أثينا التحليل والتفكير... وبالتدريج تطور التجار بالعلم ، وتطور الحساب بتعقيد التبادل التجاري ، وتطور الفلك بزيادة مخاطر الملاحة ، وقدمت الثروة المتزايدة والفراغ والراحة والأمن الشروط اللازمة في البحث والتأمل والفكر[15].

– العوامل الفكرية :

يرى (يوسف كرم) أن الفضل يعود إلى المستعمرين بالاجمال وللايونيين منهم بنوع خاص بفضل احتكاكهم بالأمم الأخرى، قوت عقولهم وحررتها خاصة في ظل ازدهار الاقتصاد وديمقرطية الحكم السياسي ،وانفتاح الدولة على شعوب البحر الأبيض المتوسط ،وانصهار الثقافات انتعشت اليونان ثقافيا وفكريا وتطورت الآداب والفنون والعلوم .[16].

---

[14] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص14.

[15] – ويل ديورانت ، قصة الفلسفة ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط6 ، 1988، ص 5.

[16] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة ، مرجع سابق ، ص14.

ففي مجال الأدب ظهر الشاعر هوميروس الذي كتب ملحمتين خالدتين : الإلياذة والأوديسة .

وأرسطو الذي نظر لفن الشعر والبلاغة والدراما التراجيدية في كتابيه: "فن الشعر" و" فن الخطابة " .

وتطور المسرح مع (سوفكلوس) و(يوربيديس) و(أسخيلوس) و(أريستوفان) وانتعش التاريخ مع (هيرودوت) و(توسيديد).

والتشريع مع الحكيم (سولون) ، وتطور الطب مع (أبقراط) أب الأطباء ، والرياضيات مع (طاليس) والمدرسة الفثاغورية ، دون أن ننسى ظهور الألعاب الأولمبية مع البطل الأسطوري (هرقل) ، وتطور الفلسفة مع الحكماء السبعة والفلاسفة الكبار كسقراط وأفلاطون وأرسطو.

كل ذلك كان من بين العوامل التي ساعدت على ظهور التفكير الفلسفي في بلاد اليونان.

المحاضرة الثانية : المدارس الفلسفية الكبرى في اليونان

عناصر المحاضرة

تمهيد

المرحلة الأولى:مرحلة التفكير الأسطوري والخرافي واللاهوتي

هوميروس

هوزيود

تأثير الحكماء

تمهيد :

لم يبدأ الفكر اليوناني ناضجاً مكتملاً، ولكنه بدأ موغلاً في الأسطورة والشعر والقصص والروايات التي تجنح صوب الخيال، إذ يُعتقد أن كل الشعوب في مرحلة من مراحل تطورها عرفت قصصاً وأساطير هي بمثابة روايات رائعة يختلط فيها الإنساني بما فوق الإنساني، أو قوى فوق طبيعية، غالباً ما يكون ميدانها الدين، تروي هذه القصص حكايات عن الأبطال وعن الآلهة يترتب على الأفعال البطولية إجابات عن الخلق والكون، وفي بلاد اليونان وقبل ظهور الفلسفة ظلت الميتولوجيا[17]، وحدها سيدة في التفسير والتعليم.

ويتجلى ذلك فيما يلي:

المرحلة الأولى: مرحلة التفكير الأسطوري والخرافي واللاهوتي

تخللتها الأشعار والقصص والروايات والحكايات والحكم الدينية، وأشهر من مثلها (هوميروس) و(هوزيود) والحكماء السبعة.

هوميروس:

[17] – عبد الرحمان مرحبا، من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،ط3 بيروت ، 1983 ، ص 76.

هوميروس شاعر اغريقي ألف ملحمتان من أقدم الملاحم وأضخمها في تاريخ الأدب الإغريقي، وهما الإلياذة و الأوديسة،

تعطي الإلياذة والأوديسة للقارئ صورة صادقة للمجتمع اليوناني في عصر الأبطال أو عصر الإقطاع،[18] ،عندما كان يحكم اليونان ملوك يدّعون أنهم من سلالة الآلهة يمارسون الحكم بناء على أنه حق مقدس و يتفوقون على باقي الشعب بقوتهم وبسالتهم بثرائهم وحكمتهم، فكان على رعاياهم أن يطيعوهم طاعة عمياء لا لأنهم من سلالة الآلهة فحسب بل لأنهم أقوى الناس وأصلحهم للحكم يمكن الاعتماد عليهم عند الشدة.

هوزيود:

ومن أهم المؤلفات التي تركها هوزيود قصيدتين وهما: الأعمال والأيام، وأنساب الآلهة.

كتاب 'الأعمال والأيام' قصيدة في أصلها نصح وإرشاد قدمه هزيود لأخيه 'برسيس' الذي كان يسيء التدبير ويحتاج إلى توجيه في الفلاحة.

أما القصيدة الثانية فتسمى 'أصل الآلهة أو أنسابها' وهي محاولة فريدة للكلام على نشأة الكون والآلهة ،وتثبيت للعلية في مسارها الطبيعي بحيث يؤدي به إلى الاعتقاد بأن العالم تخلّق عن الآلهة الأولمبية وليس مخلوق قبلها.[19].

وهنا نلاحظ ربط التفكير الديني عند هوميروس وهزيود بنشأة الفلسفة اليونانية، وذلك لأن الفلسفة اليونانية تأخذ رموزها الأولى من الدين والسرديات والقصص والأشعار.

تأثير الحكماء:

اشتدت الخصومات والنزاعات السياسية بين اليونان، وقويت حركة التوسع الاستعماري والتنظيم الاجتماعي، ونبغ فيهم رجال معدودون أشهرهم: 'الحكماء السبعة' و هؤلاء الحكماء كان مقصدهم الأكبر إصلاح النظم والأخلاق، وهم مصلحون ومشرعون عاشوا في النصف الأخير من القرن السابع قبل الميلاد وأوائل القرن السادس، ويمثلون الحكمة العملية للإغريق

[18] – لبيب عبد الستار ، الحضارات ، مرجع سابق ، ص131.

[19] – محمد بيصار ، الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب ، مرجع سابق ، ص 18.

الأول، وهؤلاء الحكماء كما ورد ذكرهم هم: (طاليس) من ملطية و(بيتاقوس) من ميليتيس، و(بياس) من بريين، و(صولون) من أثينا، و(كليوبولوس) من لندس بجزيرة رودوس، و(ميسون) من خيناي و(شيلرن).

وفي الأخير يمكن القول: أن هذه الإرهاصات كانت بمثابة المراحل الأولية التي مهدت وأوجدت الطريق لبروز الفكر الفلسفي اليوناني في شكله الخرافي 'الأسطوري' واللاهوتي الأول.

المرحلة الثانية: المدرسة الطبيعية أو الكسمولوجية: وهي على النحو الآتي:

المحاضرة الثالثة : (تابع المدرسة الطبيعية) :

عناصر المحاضرة

تمهيد

المرحلة الثانية: المدرسة الطبيعية أو الكسمولوجية

المدرسة الأيونية

طاليس

أنكسماندريس

أنكسمانس

هيراقليطس

تمهيد :

في هذه المحاضرة سنتعرف على تسمية الفلسفة الطبيعية عند اليونان ، والمقصود بالطبيعة والفرق بينها وبين فلسفة الطبيعة .

المدرسة الأيونية:

تسميتها ، مقرها ، ممثليها

تسميتها يونيا أو أيونيا (Ionia) إقليم وجزر في الجانب الغربي من آسيا الصغرى على بحر 'ايجه'، وقام في هذا الإقليم اثنتا عشرة مدينة، كانت كل مدينة تحكم نفسها حكماً مستقلاً ديمقراطياً، ولكنها مرتبطة بعضها ببعض بالمصالح المشتركة والشعائر الدينية، ممثليها هم طاليس ، أنكسماندريس ،أنكسمانس ،هيراقليطس، حاولوا الاجابة على سؤال

ما هو الأصل أو الجوهر الذي لا يتغير ويكمن وراء هذا العالم الطبيعي؟ وهو مكمن تسميتهم بالطبعيين ، أي حول المادة الأولى للموجودات– ما هي ؟" ،وقد أطلق عليهم أرسطو اسم **الطبيعيين الأولين**، فاشتهرت **المدرسة** باسم المدرسة الطبيعية.

وبناء على ذلك اهتم هؤلاء جميعاً بالبحث في طبيعة الكون أي بالكوسمولوجيا، وقد تلاقوا جميعاً في هذا الاهتمام بالبحث في الطبيعة وتلاقوا أيضاً في عنايتهم بالعلوم المعروفة في عصرهم وخاصة الرياضة والهندسة والفلك ، وكانت لهم فضلاً عن ذلك اكتشافات ومخترعات أفادت فنون عصرهم ، كذلك يجمعهم اتجاه واحد في الفلسفة هو الاتجاه المادي بمعنى أنهم تصوروا جميعاً أن الحقيقة العلمية والفلسفية للوجود لا بد أن تكون مادة، وكانت هذه المادة الأولية (الطبيعة–Physis) تُفيد عندهم أصل الوجود ومبدأ نشأته وحركته وهنا نتطرق بشيء من التفصيل لفلاسفتها وهم :

طاليس:

يعد طاليس مؤسس أقدم مدرسة في التاريخ مؤسس وأب الفلسفة كلها، لقد ولد حوالي 624 ق.م وتوفي حوالي 550 ق.م .

يرى طاليس أن هناك بمبدأين وهما:[20]

المبدأ الأول: هذا المبدأ بدوره يتألف من قضتين: أولا: أن أصل الأشياء جميعاً هو الماء وكل شيء يعود إلى الماء، وثانيا: أن الأرض قرص مسطح مستو يطفو على الماء، ولا بد أن ينشأ سؤالان على نحو طبيعي: لماذا اختار طاليس الماء مبدأ أول؟ وبأية عملية يمكن للماء – في رأيه– أن يتغير إلى الأشياء الأخرى، كيف تشكل الكون من ماء؟ ونحن لا نستطيع أن نجيب عن كلا السؤالين على وجه اليقين.

وقد دعم طاليس رأيه بالدليل فقال: إن النبات والحيوان يغتذى بالرطوبة ومبدأ الرطوبة الماء فما منه يغتذى الشيء يتكون منه بالضرورة، ثم إن النبات والحيوان يولد من الرطوبة فإن الجراثيم الحية رطبة وما منه يولد الشيء فهو مكون منه، بل إن التراب يتكون من الماء ويطغى عليه شيئاً فشيئاً كما يُشاهد في الدلتا المصرية وفي أنهر أيونية حيث يتراكم الطمي عاماً بعد عام، وما يُشاهد في هذه الأحوال الجزئية ينطبق على الأرض بالإجمال فإنها خرجت من الماء

[20] – عبد المنعم الحنفي ، الموسوعة الفلسفية ، دار زيدون ، ط1 ، القاهرة ، 1986، ص278.

وصارت قُرصاً طافياً على وجهه كجزيرة كبرى في بحر عظيم وهي تستمد من هذا المحيط اللامتناهي العناصر الغاذية التي تفتقر إليها فالماء أصل الأشياء".

– **المبدأ الثاني:** 'العالم مملوء بالآلهة' على الرغم من أن طاليس يعد أول من قدم محاولة لتفسير الكثرة الموجودة في الطبيعة على أساس عقلي يتفق وطبيعة الأشياء، متجاهلاً ما ذهبت إليه الأساطير والخرافات التي فسّرت تنوع الموجودات بالرجوع إلى الآلهة، إلا أنه افترض في تفسيره للحركة. أي حركة الأحياء، أن العالم مملوء بالآلهة، ويرجح أرسطو أن يكون معناه أنه مملوء بالأنفس، أي أن كل فعل إنما هو من النفس، وأن النفس منبثة في العالم أجمع، فتكون المادة حية ويكون الماء المؤلفة منه الأشياء حاصلاً على قوة حيوية حاضرة فيه دائما، وإن لم تظهر دائماً.

– وعليه يمكن القول: أن فلسفة طاليس فيها شيء من الجدة فبدل أن يفسر الكائنات بتشخيص القوى الطبيعية والرواية عن الآلهة نظر إليها على أنها أشياء معروفة محسوسة، وحاول الاستقراء والبرهنة فهذا النظر وهذا المنهج هما الربح الذي عاد على الفلسفة.

* **انكسيمندريس:**

ولد انكسيماندريس في 'مليت' فيما بين سنتي (610 و611 ق م) يفسر أصل الوجود من خلال .

المبدأ الأول للأشياء: فسّر انكسيماندريس هذا المبدأ بأن العلة المادية والعنصر الأول للأشياء هو اللانهائي، وهو يقول إنها ليست ماء ولا شيئاً من العناصر المعروفة، بل مادة مختلفة عنها، لا نهاية لها. وعنها تشأ جميع السماوات والعوالم. هذا اللانهائي دائم أزلي، اللانهائي خالد لا يفنى"، "الأبيرون أو اللانهائي إلى جانب ذلك 'مبدأ' للأشياء ،حاول انكسيماندرس تلمس الحقيقة في شيء وراء هذه الظواهر المحسوسة، بعيداً عن التصورات الأسطورية الموجودة في أشعار هوميروس وهوزيود وأورفيوس، فكان قوله باللانهائي، هو عبارة عن فكرة عقلية، هي الحقيقة الثابتة الموجودة وراء الظواهر المتغيرة، وقد نشأت عنها الأشياء

بالانفصال والانضمام، وأن علة الانفصال هو الحركة الأزلية التي تؤدي إلى انفصال الأضداد المتقابلة وتحديدها"، فتكون العالم ومن خلاله نشأة الحياة في سلسلة مترابطة.[21]

بهذه الرؤية الطبيعية التي شملت تكوين العالم، واتسعت أيضاً لتفسير نشأة الأحياء يكاد 'انكسيماندريس' يكون أوّل فلاسفة التطور في تاريخ الفلسفة .

انكسيمانس:

عاش في الفترة ما بين (585– 524 ق م).

فسر أصل الوجود بالهواء إن الهواء هو المبدأ الأول للأشياء جميعا، وهو غير مرئي ولكنه يصبح مرئيا بتأثير الحار والبارد والرطب واليابس، أي بالتكاثف والتخلخل فيتخذ أشكالا متعددة هي الأشياء التي نشاهدها في العالم، وهو لا محدود يحيط بالعالم من كل جهة وهو سبب الحياة في العالم كله، كما أن الروح هي سبب الحياة فينا".[22].

"استبدل انكسيمانس الهواء بماء طاليس وذلك لأنه ألطف من الماء وأسرع حركة وأوسع انتشارا، فالنار هواء، والماء هواء، والتراب هواء، كيف يكون الماء هواء؟ والنار هواء؟ والتراب هواء؟

فسّر انكسيمانيس كيفية تكون الأشياء عن الهواء من خلال فرضه فكرة التكاثف والتخلخل، فالهواء في حدّ ذاته لا يمكن رؤيته، ولكنه يصبح مرئيا في عمليتي التكاثف والتخلخل، والتخلخل هو مثل الحرارة أو الحرارة المتنامية والتكاثف هو البرودة المتنامية، فالهواء إذا تخلخل أصبح نارا، والنار المتولدة للأعلى على الهواء تصبح نجوما، وبالعملية العكسية عندما يتكاثف الهواء يصبح رياحا فسحابا فأرضا فحجارة، والعالم يدور في مجرى الزمن من جديد ويستحيل (يتحول) إلى هواء أولى. ...

وعلة التكاثف والتخلل الحركة، وليس للحركة عند انكسيمانيس علة أخرى غير ذاتها، فالهواء بطبيعته في حركة دائمة، أي له في ذاته هذه القوة، ولا يفترض مبدأ أول للحركة غير

[21] – علي سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، ج1 ، ط9 ، دس ، ص114.

[22] – علي سامي النشار نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، مرجع سابق ، ص119.

هذا، وعند انكسيمانيس الصلة بين الحركة وبين التخلخل شديدة فالرياح بخار متحرك، والسحاب بخار أقل حركة، والماء أقل حركة من السحاب وأكثر من الأرض، وذهب انكسيمانيس إلى أن الشمس أرض، ولكن قوتها المحرقة الملتهبة ترجع إلى حركتها التي تجعلها شديدة الحرارة.

هراقليطس :

هرقليطس عاش مابين (544- 484 ق.م) يرى أن التغير هو ملازم للأشاء وأن النار هي الأصل.[23].

- **التغير المستمر والصيرورة (السيلان الدائم):** "لقد استعاد هرقليطس سؤال مدرسة ملطية: ما الذي يثبت في التغير؟ فكان جوابه إنه التغير نفسه. إن التغير هو قوام وجود الأشياء، ويرى هرقليطس أن العالم في تغير مستمر ولا يوجد شيء باق على الإطلاق، ومن أقواله الدالة على التغير: الإنسان لا يستطيع أن ينزل إلى النهر الواحد مرتين، لأن مياهاً جديدة تغمره باستمرار.[24]

- **النار كمقوم مادي للأشياء :** ذهب هرقليطس إلى اعتبار النار بمثابة المبدأ الأول أو الجوهر الأوحد الذي تصدر عنه الأشياء جميعا وإليه تعود في نهاية المطاف، وليس المقصود بالنار هنا – النار التي ندركها بحواسنا- ولكنها نار إلهية لطيفة للغاية أثيرية، نسمة حارة حية عاقلة أزلية أبدية، هي حياة العالم وقانونه (لوغوس) يعتريها .

مماسبق يمكن أن نستنتج أن من مميزات هذه المدرسة:

- فلاسفة المدرسة (الطبيعية المبكرة) ابتعدوا عن تفسير العالم تفسيراً ميثولوجياً ونظروا إلى الموجودات نظرة واقعية، وحاولوا الاستقراء والبرهنة وتفسير الموجودات بفاعلية بعضها في بعض، ولا شك فهذه تعد خطوة كبرى في سبيل وضع أسس العلم بالمعنى الذي نفهمه.

---

[23] – جعفرآل ياسين ، فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط ، مكتبة الفكر الجامعي ، منشورات عويدات ، ط1، بيروت ،1971، ص51.

[24]– جعفر آل ياسين ، فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط ، مرجع سابق ، صص 51،52.

– كانوا يعتقدون في وحدة الوجود أي القول بمادة ثابتة غير حادثة ويتصورونها حاصلة على قوة حيوية باطنة تدفعها إلى التطور على نحو آلي ومن ثم دعوا بأصحاب المادة الحية، وعلى ذلك فالمذهب المادي الحديث ليس إلا المذهب المادي القديم وأنه لا اختلاف بينهما إلا في الشواهد أي البيانات العلمية.

– انهم بتفسيرهم المادي للوجود يمهدون لنظرية الأصول الأربعة

– اهتم فلاسفة المدرسة الطبيعية المبكرة بالبحث /تفسير / عن المادة الأولى التي نشأ عنها الكون، ولهذا كان أوّل سؤال فلسفي طرحه الإنسان لفهم العلاقة الفكرية بينه وبين الكون هو السؤال التالي: ما أصل هذا العالم؟ وكيف تفسر التغيرات التي تحدث في الطبيعة ابتداء من هذه المادة الأولى؟ كان ... السؤال على هذا النحو بمثابة التجربة الفلسفية الأولى التي مرّت بها الإنسانية وهي تخطو خطواتها الأولى نحو التفلسف، في فجر الفلسفة اليونانية إبان القرن السادس وهي تجربة نستطيع أن نطلق عليها اسم 'الفلسفة الطبيعية' باعتبار أنها تتناول الطبيعة: الكون أو العالم وأصلها، وقد قدّم هذه التجربة رجال المدرسة التي عرفت في تاريخ الفلسفة باسم المدرسة الأيونية".

– كما اتجهوا إلى تفسير ظاهرة التغير في الكون.

– الفلسفة عند الفلاسفة الطبيعيين: بحث عن العناصر، وسعي من أجل الكشف عن أصل الكون. حقا إن فلسفتهم كانت مستوعبة لكل ميادين المعرفة البشرية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، ولكنها كانت متجهة اتجاها كليا نحو العالم الخارجي، فلم تتجاوز في دراستها مسائل 'نشأة الكون'، و'تفسير الطبيعة' ورد الكثرة إلى الوحدة، أعني أنها كانت فلسفة كونية (كوسمولوجية) محضة، ومن ثمة كانت لها امتدادات

وقفت المدرسة الأيونية عند انكسيمانس إلا أن مبادئ هذه الفلسفة قد أثرت كل التأثير فيمن أتوا من الفلاسفة بعد هذه المدرسة خصوصا الفلاسفة الذين ولدوا في أيونية مثل هيرقليطس وأنكساغوراس وديمقريطس إلا أنه يلاحظ أن مذاهب هؤلاء لها طابع خاص واضح ظاهر يجعلنا

نفرق تفرقة كبيرة بين فلسفتهم وفلسفة المدرسة الأيونية. ولهذا لا يمكن أن نعدهم امتدادا للفلسفة الأيونية.

أما الذين كانوا حقاً امتداداً للفلسفة الأيونية، فهم فلاسفة آخرون من عيار أقل من هؤلاء الفلاسفة، أشهر هؤلاء:

– أولا: **'هِبُّون'** وقد قال بما قال به طاليس بأن الماء هو المبدأ الأول لجميع الأشياء، والذي دعاه إلى هذا القول هو أنه رأى أن الحيونات المنوية مائية، أو على الأقل على حد تعبير أرسطو رطبة،....والمعلومات التي لدينا حوله ضئيلة.

– ثانيا: 'ذيوجانس الأبولوني' إذ يقول أن المبدأ الأول يجب أن يكون أزليا أبديا قادرا على النفوذ في جميع أجزاء الكون متحركا باستمرار، ومن ناحية أخرى يجب أن يكون هذا المبدأ مبدأ الحياة في الوجود ومبدأ الحركة.

كان أول من عبر عن أفكاره بعبارات منطقية معقولة، فهو لم يفسر الكون بالخرافات والأساطير، ولا بالقوى الخفية، وقوى الآلهة بل على أساس عقلي علمي معلل، يرتبط فيه المعلول بالعلة ارتباطا وثيقا، وسواء فشلت محاولته هذه أم لم تفشل فهي المحاولة الفلسفية الأولى التي تنظر إلى الكون نظرة كلية شاملة وتضع له تفسيرا واحدا تستوعب جميع الجزئيات".[25].

وفي الأخير نقول أنه: لا يمكن جحد وإنكار فضل المدرسة الأيونية على الإنسانية، على الرغم من سذاجة التفسيرات التي قدمها هؤلاء الفلاسفة، فإنها بلا شك تعد تفسرات علمية استطاعت أن تنقلنا من التفكير الأسطوري (الخيالي) إلى التفكير الطبيعي (العلمي).

[25] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص33.

المحاضرة الرابعة : (تابع المدرسة الطبيعية)

عناصر المحاضرة

تمهيد

المدرسة الإيلية

أكسانوفان

بارمينيدس

زينون الإيلي

تمهيد :

إذا كان زعماء المدرسة الأيونية يفرضون موجودا واحدا ماء أو هواء أو نار ويستخرجون منه كثرة الأشياء بالحركة والتغير العرضي ومن ثمة الحركة الدائمة ، فما رأي المدرسة الأيونية في سؤال ما أصل الوجود ؟ فهل هناك ثبات على نفس الرأي أم أن هناك أفكار جديدة في هذه المدرسة تميزها عن المدرسة السابقة.

المدرسة الإيلية:

تسميتها ، مقرها ، ممثليها

يُسمى الإيليون بهذا الاسم نظراً لأن مقر مدرستهم بلدة (ايليا) في جنوب إيطاليا، وكان 'بارمنيدس وزينون' الممثلان الرئيسيان للمدرسة كلاهما من مواطني ايليا (Elea)، مدينة أسّسها الأيونيون الهاربون من وجه الفرس على الساحل الغربي في إيطاليا في حوالي سنة 540 ق.م، وقد عاودت البحث في مشكلة الوجود ورفضت وجود تعارض بين المعرفة الحسية والمعرفة العقلية إِذْ الوجود يبدو لنا من منظورين مختلفين فندركه إما كَمَا يتمثّل لحواسنا أو كما يتمثّل لعقولنا، تدرك حواسنا الكثرة، بينما تدرك عقولنا الوحدة، وصفات الوحدة تتعارض مع صفات الكثرة، يذهب الإيليون إلى أن الوحدة فقط هي الوجود وأن الكثرة ليست وجوداً لذلك رأوا أن العالم

واحد، ويذهبون إلى أن العالَم ساكن، ويعتبرون [26]الكثرة وهماً سواء من منظور منطقي أو من منظور ميتافزيقي.

مؤسسها بارمنيدس وقد كان أوّل الفلاسفة الذين وجهوا عنايتهم نحو البحث في الوجود، ماهو الوجود؟ الوجود ليس عالم الكثرة الحسية المتغيرة إذ أن هذا العالم هو بالأحرى ما نستطيع أن نطلق عليه اسم اللاوجود، وأن نسمي معرفتنا له بالمعرفة الظنية، ولأوّل مرّة في تاريخ الفلسفة توضع على مسرح الحياة الفكرية كلمة **الوجود** بدلاً من **الطبيعة**، وَوُضعت إلى جانبها كلمة 'الفكر' وقد وحّد الفيلسوف بين الفكر والوجود، لاحظ اننا نلتقي بصفات الثبات والوحدة في كل من عالم الوجود وعالم الفكر وبهذا الاعتبار فإنهما متماثلان.[27]

تتضح أسس مدرسة بارمنيدس إذا رجعنا إلى فلسفة كل من اكسانوفان وهرقليطس، ذلك أننا نجد في فلسفة برمنيدس استمراراً وتطوراً لموقف اكسانوفان في كيفية صدور الكثرة عن الوحدة، وفي الثبات والحركة، والوجود والصيرورة، هذه المشاكل التي تتناولها المدرسة الإيلية بالتفصيل، وتتخطى بذلك مشكلة المدرسة الأيونية التي كانت تبحث عن العناصر الأولى للوجود المادي، وقد كانت فلسفة برمنيدس رد فعل معارض لموقف هرقليطس في التغير الدائم، ولكن طبيعة المسائل التي يعرض هرقليطس عن الوجود والتغير جعلته يقترب إلى حد كبير من الطابع العام للمدرسة الإيلية، كما يقترب في نفس الوقت من المدرسة الأيونية لقوله بالنار هي المقوم المادي المحدد للوجود.

كما جرت عادة المؤرخين أن يصلوا بين بارمنيدس وبين زينوفان، وأن ينسبوا إليه أنه مؤسس المدرسة الإيلية. لكن الدراسات الحديثة أوضحت خطأ هذا الزعم. فهو أحد الأحرار الذين فضلوا هجرة أيونية حين شعروا بضغط المستعمر عليها، وقد اتجه نحو الدين القديم المأثور لهدمه، دون وضع بناء جديد للدين .

[26] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص45.

[27] – أحمد موساوي ، تاريخ المنطق ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص15.

سبق وأشرنا أن "المؤسس المشهور للمدرسة الإيلية هو اكسينوفان وهناك شك فيما إذا كان قد ذهب إلى إيليا أصلاً، زيادة على ذلك فإنه يمت لتاريخ الدين أكثر مما يمت لتاريخ الفلسفة، والمبدع الحقيقي للمدرسة الإيلية هو بارمنيدس، غير أن بارمنيدس وجد بذوراً معينة في تفكير اكزينوفان وحولها إلى مبادئ فلسفية، ولذلك نعرج على فلسفته أولاً.

اكسانوفان :

(Xenophanes) وُلد حوالي 570 ق.م، في كولوفون بآسيا الصغرى (أيونيا)، ولما احتّل الميديّون (الفرس) هذه المدينة سنة 545 ق.م اضطر كزينوفانس إلى الرحيل عنها، وبعد أن طوّف في أنحاء العالم اليوناني استقر في إيليا على الشاطئ الغربي من جنوب إيطاليا، وإليه ينسب أفلاطون تأسيس المدرسة الإيليائية، توفي حوالي 478 ق.م. نظّم هذا الفيلسوف آراءه شعراً، وقد كان شاعراً حكيماً شريف النفس حر الفكر مرّ النقد. قال ساخراً من تكريم الناس للمصارعين: 'إن حكمتنا خير وأبقى من قوة الرجال والخيل'، وقال مُتهكماً على فيثاغورس لاعتقاده بالتناسخ إنه 'مرّ ذات يوم برجل يضرب كلباً فأخذته الشفقة فصاح وهو ينتحب: أمسك عن ضربه يا هذا، إنها نفس صديقٍ لي عرفته من صوته'.

تتمثل فلسفته في أن في النزاع بين الفلسفة والدين فقد هاجم الأفكار الدينية الشعبية عند اليونان بهدف التوصل إلى تصور أكثر صفاء ونبالة عن الرب. ويقوم الدين اليوناني الشعبي على أساس الاعتقاد في عدد من الآلهة التي يجري تصورها على شكل كائنات إنسانية، يقول أن من العبث افتراض أن الآلهة تنتقل من مكان إلى مكان على نحو ما تصوره الأساطير اليونانية، ومن العبث افتراض أن للآلهة بداية، ومما يحط من شأنهم أن نعزو لهم قصصاً مليئة بالخداع والاحتيال واللصوصية والزنا.

هذا ويذهب بعض المؤرخين إلى أن اكزينوفانس كان يقول بإله واحد وبذلك كان من دعاة التوحيد في بلاد اليونان. وقد نشأ هذا الظن من هجومه العنيف على تعدد الآلهة في الميثولوجيا اليونانية، وإضفاء الصفات البشرية عليها. ويعتقد أنه لا يوجد غير إله واحد أرفع الموجودات

السماوية والأرضية ليس مركباً على هيئتنا ولا مفكراً مثل تفكيرنا ولا متحركاً، ولكنه ثابت كله بصر وكله فكر وكله سمع يحرك الكل بقوة عقله وبلا عناء.

وهناك من النصوص ما يوحي بأنه كان يؤمن بوحدة الوجود، فقد جمع بين الطبيعة وبين الله وتحدث عن الله حديثه عن الطبيعة وتحدث عن الطبيعة حديثه عن الله، بل أن أرسطو وهو أهم من دوّن آرء اكزينوفانس بين القدماء، يذكر في كتابه (ما بعد الطبيعة) أن أكزينوفانس نظر إلى مجموع العالم وقال إن الأشياء جميعاً عالم واحد ودعا هذا العالم (الله)، إنه لم يقل شيئاً واضحاً، ولم يبين إن كان العالم عنده واحداً من حيث الصورة أو من حيث المادة. فإذا صح ذلك ثبتت نسبته للمدرسة الإيلية وثبت أنه مؤسسها وواضع أول لبنة فيها.

وهكذا نجد أكسانوفان يبدو،مصلح ديني أكثر منه فيلسوفاً، ومع هذا لما كان هو أول من قال القضية: 'الكل هو واحد' فإنه احتل مكانته في الفلسفة وحول هذه الفكرة بنى بارمنيدس أسس الفلسفة الإيلية.[28]

بارمنيدس:

ولد في إيليا، ويقال إنه تتلمذ لـ أكسانوفان، ومن المحقق أنه تأثر به فآمن بوحدة الوجود، وضع كتابه 'في الطبيعة' شعراً، فكان أول من نظم الشعر في الفلسفة. وكتابه قسمان: الأول في الحقيقة أي الفلسفة والثاني في الظن أي العلم الطبيعي، فإن المعرفة عنده نوعان: عقلية وهي ثابتة كاملة، وظنية وهي قائمة على العرف وظواهر الحواس، فالحكيم يأخذ بالأولى ويعول عليها كل التعويل ثم يُلم بالأخرى ليقف على مخاطرها ويحاربها بكل قواه.

تتلخص فلسفة برمنيدس في الأوجه التالية:

- **حقيقة الوجود ونفي العدم:** الوجود هو الحقيقة، أما العدم فليس موجوداً، والوجود دائم باق، لا يمكن أن يكون جاء من العدم لأنه لو جاء من العدم لكان العدم شيئاً، وهذا تناقض. وكذلك لا يمكن أن يكون جاء من شيء، إذ لا يمكن أن يأتي شيء من نفسه، فالوجود إذن

[28] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة ، مرجع سابق، ص46.

واحد غير متبدل، والموجود موجود أبداً، والمعدوم معدوم أبداً ولا يمكن لشيء أن ينعدم بعد أن يكون موجوداً ولا أن يوجد من العدم.

- **نفي الخلاء والحركة:** تخيّل برمنيدس الأرض كرة مصمّتة (ممتلئة). وهكذا نفى برمنيدس 'الخلاء' في العالَم، وهذا يقتضي نفي الحركة، لأن الأجسام لا يمكن أن تتحرك إلا إذا كان لها خلاء تتحرك فيه، فالخلاء والعدم شيء واحد.

- **خداع الحواس:** الوجود واحد غير متبدل، ولكننا 'نشعر' أن العالم الحسي من حولنا يتغير ويتبدل، وأنه متكثّر: أن أنواع الأثمار كثيرة، ثم أن الزهرة تنقلب ثمرة (تنكشف عن ثمرة الأصل) والثمرة تنقلب بزر ...إلخ. 'ولكن هذا كلّه خداع من حواسنا فيجب ألا نعتمد في المعرفة على الحواس، بل على العقل الذي يدرك الموجودات كما هي في حقيقتها لا كما تبدو لحواسنا'.

- الوجود واحد غير متبدل ثم اعترف بأن هذا الوجود يبدو لحواسنا متكثراً متبدلاً افترض عالمين: عالَماً حقيقياً هو عالم الوجود الثابت، وعالَماً وهمياً هو العالم المتبدل أمام حواسنا. ثم إنه تبع فيثاغورس في القول بوجود متناقضات: الحرارة والبرودة، الخفة والثقل ...، وانتهى بأن بني العالم على مبدأين: مبدأ النور ومبدأ الظلمة فخرج بذلك من وحدانية العالم إلى إثنينية العالم. ولما استطاع برمنيدس أن يميز أعيان الموجودات بما فيها من الصفات المتناقضة خطا الخطوة الأولى في وضع نظرية المعرفة.

- **صورة العالم:** قال برمنيدس بأن الأرض مركز العالم، وأنها كرة سابحة في الفضاء. وبما أن الأرض تتطلب أن تتوازن في الفضاء فقد نشأ لها حركة تمايلية. أما القمر فيستمد نوره من الشمس.

- **احتقار العامة:** برمنيدس يحتقر العامة، ويهاجم الفلاسفة الذين يخالفونه في الرأي، ثم ينصحنا بقوله: ابتعدوا عن الطريق التي يهيم فيها أُناس لا علم لهم، يقودهم الريب والحيرة ..، فيهرعون إلى كل مكان: صم بكم عمي فهم لا يعقلون، وهم أنعام لا يفكرون .. يظنون أن الوجود والعدم شيء واحد، وما هما كذلك.

وهكذا تبدو رؤية بارمنيدس:

– إن ميزة برمنيدس هي أنه فيلسوف الوجود المحض تجاوز عالم الظواهر وعالم الأعداد والأشكال، وبلغ إلى الموضوع الأول للعقل وهو الوجود.

– ولقد بهره معنى الوجود فلم يعد يرى غير أمر واحد هو 'أن ما هو موجود فهو موجود ولا يمكن ألا يوجد' وأن 'الوجود موجود واللاموجود ليس موجوداً ولا مخرج من هذه الفكرة أبداً' فكان أول فيلسوف جرد مبدأ الذاتية ومبدأ عدم التناقض وأعلنهما صراحة وجعل منهما أساس العقل الذي لا يتزعزع.

– ولئن لم يفطن برمنيدس إلى أن الوجود والواحد يقالان على أنحاء عدة ولم يُفرق بين معانيهما المختلفة فعُذره أن هذه المعاني لم تكن قد تميّزت بعد، وأنها لن تتميّز إلا على يد أرسطو.

وحسبه فخراً أنه ارتفع إلى مبادئ الوجود ومبادئ العقل بقوة لم يسبق إليها فأنشأ الفلسفة الأولى واستحق أن يدعوه أفلاطون 'برمنيدس الكبير'. فلسفة برمنيدس جعلت أفلاطون يلقبه بـ 'أبيه الروحي'.[29]

زينون الإيلي:

"ولد زينون الإيلي تقريباً حوالي 489 أو 490 ق م وتوفي في 420 ق م، يُقرن اسم زينون الإيلي باسم بارمنيدس، فهو تلميذه والمدافع عنه، وكل ما وصلنا عنه حججه الشهيرة لإفحام المعارضين لمذهب بارمنيدس. ويقول أفلاطون في المحاورة المسماة بارمنيدس، إن زينون كتب كتابه وهو شاب، وإنه أراد فيه أن يأتي عوناً لأستاذه. إذن فجهده جهد دفاعي، وتنسب إلى زينون مجموعتان من الحجج، الأولى: وعددها أربعة تعارض التعدد، والثانية: وعددها أيضا أربعة ضد الحركة.[30].

[29] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة ، مرجع سابق ، ص46

[30] – ديوجين لايرتيوس ، مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ، ترجمة عبد الله حسين ، المجلس الأعلى للترجمة ، القاهرة ، 2006، ص 138.

وهكذا أيَّد 'زينون' مذهب معلمه ضد الذين سخروا منه وحاولوا أن يبينوا أن القول بالوحدة يستتبع نتائج مضحكة ومناقضة له (وهؤلاء هم الفيثاغوريون الذين يؤلفون العالم من أعداد أي وحدات منفصلة) فحارب الكثرة بأن ألزمهم المحالات وبيّن أن لمذهبهم نتائج هي أدعى للضحك. فهو قد نهج منهجاً جدلياً بحتاً يقوم على برهان الخلف ويرمي إلى إفحام الخصم. ولم يصلنا من المعلومات ما يكفي لتكوين فكرة مضبوطة عن كتابه وترتيب أقواله، ولكن أرسطو أورد بعض حججه في امتناع الكثرة والحركة.

ساهم زينون مساهمة فعالة في الحياة الاجتماعية والسياسية لبلاده فاشترك لمؤامرة لقتل نيركوس (Nearchus) أمير إيليا، حيث تواطأ زينون مع بعض مواطنيه على قلب نظام الحكم وإبعاد الطاغية عن عرشه ولكن محاولته تلك قد باءت بالفشل، ولكن لئيماً من الناس فشى السر الرهيب ألقي القبض عليه وأُذيق عذاباً أليماً احتمله بثبات عظيم حتى الموت، وقيل إنه قَطَع لسانه بيده كي يعود أبكماً لا ينطق، وقوياً لا ينهار، وقيل إنه قذف به في وجه الطاغية مُؤْثراً الموت على إفشاء أسرار أصدقائه وموتهم، إن هذه الصورة المأسوية إن دلت على شيء فإنها تدل دلالة واضحة على مدى مشاركته الفعالة هموم بلاده ومآسي عصره ومواطنيه، ويا أجملها من مشاركة، إنها لمهماز يشهر بوجه أولئك الذين يحسبون الفلسفة ترفاً عقليا غارقاً في الخيال.[31]

لقد فسّر 'زينون' الفلسفة الإيلية تفسيراً واضحاً، يمكن تلخيصه على النحو التالي:

– الجسمية لها عِظَم. كل موجود له عِظَم (حجم): طول وعرض وعمق، وهو قابل للقسمة. وكل ما ليس بجسم فلا يمكن أن يكون موجوداً. وإذا فرضنا جسماً لا حجم له فقد فرضنا باطلاً، ذلك لأننا لو أضفنا هذا الجسم الذي لا حجم له إلى جسم آخر لما زاد في حجمه شيئاً، ولو فصلناه لما نقص منه شيء، وهذا محال.

– **حجج نفي الكثرة أو التعدد =إثبات الوحدة:**

لا تخلو الكثرة أن تكون: إما كثرة مقادير ممتدة في المكان، وإما كثرة آحاد (أعداد) غير ممتدة ولا متجزئة.

[31] – المبشر بن فاتك ، مختار الحكم ومحاسن الكلم ، المؤسسة العربية ، ط2 ، بيروت ، 1980 ، ص40.

– **الحجة الأولى:** وتنظر في الفرض الأول (خاصة بالمقدار) ومؤداها أن المقدار قابل للقسمة بالطبع فيمكن قسمة أي مقدار إلى جزئين، ثم إلى جزئين وهكذا دون أن تنتهي القسمة إلى آحاد غير متجزئة، لأن هذه الآحاد لا يؤلف مقدارا منقسماً، وإذن يكون هذا المقدار المحدود المتناهي حاوياً أجزاءً حقيقية غير متناهية العدد وهذا خلف.

– **الحجة الثانية:** وتنظر في الفرض الثاني، وهو أن الكثرة مكونة من آحاد غير متجزئة، فنقول أن هذه الآحاد متناهية العدد، لأن الكثرة إذا كانت حقيقية كانت معينة، وهذه الآحاد منفصلة وإلا اختلط بعضها مع بعض، وهي منفصلة حتما بأوساط، وهذه الأوساط بأوساط أخرى، وهكذا إلى ما لا نهاية مما يناقض المفروض، فالكثرة بنوعيها غير حقيقية. مثال العدد '6' يتكون من ستة وحدات من الآحاد 1+1+1+1+1+1=6. ولو قلنا 1:2، 1:3، 4:1، 1:5، 1:6، ما بين 1:6 أوساط ليست متناهية.

– **الحجة الثالثة:** وتقوم على المكان وملخصها كما يقول زينون: إنه إن كانت الكثرة حقيقية، فإن كل واحد من آحادها يشغل مكاناً حقيقياً وإن هذا المكان هو الآخر لا بد وأن يكون موجوداً في مكان، وهذا المكان، بدوره سيكون موجوداً في مكان، وهكذا إلى ما لا نهاية له، فالكثرة باطلة والوجود واحد.

– **الحجة الرابعة:** تذهب إلى أنه إذا كانت الكثرة حقيقية فإن النسب العددية بين كيلة الذرة وحبة الذرة وجزء على عشرة آلاف من الحبة يجب أن يقابلها نفس النسبة بين الأصوات الحادثة من سقوطها إلى الأرض، ولكن الواقع يقول لا، إذن ليست الكثرة حقيقية.[32]

– **حجج نفي الحركة:**

– **الحجة الأولى:** تُسمى بـ **القسمة الثنائية**، وهي مأخوذة من فرض المقدار مُركباً من أجزاء غير مُتناهية، وبناءً عليه فإن : الجسم المتحرك لن يبلغ إلى غايته إلا أن يقطع أولاً نصف المسافة إليها، ونصف النصف وهكذا إلى ما لا نهاية، ولما كان اجتياز اللانهاية مُمتنعاً فإن الحركة ممتنعة.

[32] – سالم يفوت ، فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع ، دار الطليعة ، بيروت ،ط1 ، 1986 ، ص 23.

– و**الحجة الثانية:** وهي تمثيل للأولى وتُسمى **'أخيل'** مؤداها أن إذا فرضنا أخيل (ذا القدمين الخفيفين) يُسابق سلحفاة وهي أبطأ الحيوان، وأن هذه السلحفاة مُتقدمة عليه مسافة قصيرة، وأنهما يبدآن الحركة في وقت واحد، فإن أخيل لن يُدرك السلحفاة إلا بقطع المسافة الأولى الفاصلة بينهما ثم المسافة الثانية وهكذا إلى ما لا نهاية. وهذه الحجة مماثلة للحجة الأولى وقائمة على المكان اللامتناهي.

– **الحجة الثالثة:** تُسمى بـ **'السهم'**، وتمثل التناقض الثالث الذي يؤدي إليه افتراض وجود الحركة، فلو تصورنا أن سهماً قد انطلق من مكان إلى آخر فإنه لن يتحرك لأنه سوف يوجد مجموعة من الآنات الزمانية المنفصلة، وحالته في كل آن من هذه الآنات هو السكون التام فكيف تنشأ الحركة من مجموع حالات السكون؟ (الآن هو الوحدة التي يتكون منها الزمان، فالزمان مجموعة الآنات).

– **الحجة الرابعة:** وتُسمى **حجة الملعب** وتقوم كذلك على فرض الزمان مؤلفاً من آنات غير متجزئة، والمكان مركباً من نقط غير منقسمة.

تقوم هذه الحجة على فكرة أن الشيئين المتساويين في السرعة يقطعان مسافة متساوية في نفس الوقت.

"ملخصها: لو تصورنا ثلاث مجاميع من الأشياء، كل مجموعة منها مكونة من أربع وحدات مرتبة، وثلاثة متوازية في ملعب أحدها يشغل نصف الملعب إلى اليمين، والآخر يشغل نصفه إلى اليسار، والثالث إلى الوسط، وذلك كما هو موضح كالآتي:

A1 A2 A3 A4

B4 B3 B2 B1

C1 C2 C3 C4

وكانت المجموعة (A) ثابتة، بينما المجموعة (B) متحركة باتجاه (A4)، والمجموعة (C) متحركة باتجاه (A1) في وقت واحد وبسرعة واحدة، فعندما تصل كل مجموعة إلى وجهتها لتصبح على الترتيب التالي:

A1 A2 A3 A4

B4 B3 B2 B1

C1 C2 C3 C4

تكون B1 قد قطعت وحدتين من المجموعة A وهما (A4– A3) وفي الوقت الذي قطعت فيه أربع وحدات من المجموعة (C). ومعنى هذا أنها قطعت في نفس الوقت مسافة كاملة ونصفها وهذه النتيجة تناقض الفكرة الأولى السابق ذكرها. وهذا خلف، وعليه فالحركة إذن ممتنعة والوجود ساكن.[33].

وهكذا نستطيع القول أن زينون أثار بحججه، موجة عارمة من النقد وصفته بأنه لم يأت بجديد في الفلسفة ولم يزد شيئاً على ما قاله أستاذه خاصة فيما يتعلق بالوجود. لكن **منهج زينون** له أهمية كبيرة، إذ تقوم طريقة زينون على "إظهار النتائج غير المقبولة وغير المعقولة ابتداء من مقدمة المذهب المعارض، فطريقته إذن 'جدلية'، أي أنه لا يقيم الدليل على مذاهب برمنيدس إقامة إيجابية، بل 'يجادل' معارضيه ابتداء من قضاياهم هم أنفسهم مفحماً إياهم بإجبارهم بأن يجبوا بـ 'نعم و لا' على نفس السؤال، أي أن يأخذوا موقفاً وعكسه، أي أن يقعوا في التناقض. فزينون إذن يشبه برمنيدس في استخدامه الدقيق لمبدأ عدم التناقض. ورغم ما قد يبدو من طابع 'اللعب الجدي'، كما يقول أفلاطون لهذه الحجج، إلا أنها شغلت بال الكثيرين من اليونان وغيرهم للرد عليها، والنتيجة كانت زيادة الوعي بجوانب مفاهيم: الزمان والمكان، المتصل وغير المتصل، والعدد والحركة."

وقد كان أرسطو يَعد زينون مخترع الجدل، وليس يعني أي جدل، إنما يعني الجدل الفلسفي، وهو البحث عن الحقيقة من طريق المناقشة والحوار وإظهار المتناقضات عن هذا النمط، وهو نوع مهر فيه أيضاً 'أفلاطون' و'كانت' و'هيجل'.[34].

---

[33] – أرسطو ، في النفس ، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ،ط1 ، دت ، ص133.

[34] – علي سامي النشار ، تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام ، مرجع سابق ، ص134.

وما يمكن أن نصل اليه كخلاصة للمدرسة الايلية هو:

- اهتمت المدرسة الإيلية بظاهرة الثبات والاستقرار في الكون.
- الابتعاد عن الموجودات المادية المحسوسة.
- التوقف عن البحث في الجوهر المادي الأول.
- اكسانوفان وضع أصل المذهب وجاء بعده بارمنيدس وأصدره في صورته الكاملة، زينون مدافع عن المذهب في مواجهة الفيثاغوريين، وميلسوس انتقد الطبعيين الأوائل.
- يرجع لها الفضل في توجيه النظر إلى فكرة الوجود المحض.
- إظهار الأهمية القصوى لمشكلة التغير والحركة –على الرغم من المدرسة قالت بامنتناعها– وعلى أية حال فإن أبحاث بارمنيدس كانت مؤذنة بقيام علم ما بعد الطبيعة.
- هذه المدرسة خطت بالفلسفة خطوة واسعة نحو النظر العقلي.

"وأخيرا يمكن القول أن المدرسة الإيلية تمثل نقطة تحول هامة وحاسمة في تاريخ الفلسفة اليونانية خاصة في الدور السابق على سقراط، فكان تأثيرها واضحا في أنباذوقليس وأنكساغوراس وديمقريطس، فهؤلاء قد اضطروا إلى جعل المبدأ الأول مُتصفاً بالصفات التي يتسم بها الوجود عند الإيليين، فهو أزلي، أبدي، ثابت ومن ثم فهو لا يتغير من ناحية الكيف.

كما أثر الإيليون في السوفسطائية تأثيراً كبيراً ولو أن هذا التأثير جاء سيئاً من حيث أنه أعطاهم السلاح الذي به حاولوا أن يهدموا الفلسفة التي كانت سائدة حتى ذلك العهد، إن براعة السوفسطائيين وحذقهم في فن الجدل وفي المنطق يرجع في المقام الأولى إلى الإيليين.

المحاضرة الخامسة : المدرسة الفيثاغورية

عناصر المحاضرة

تمهيد

من حيث تسمية المدرسة ونشأة العلم الرياضي

اهتمامات المدرسة

حياة وأعمال فيثاغورس

اسهاماته الفلسفية والعلمية

تمهيد :

بداية تسمى المدرسة الفيثاغورية ولا يقال مدرسة فيثاغورس ، لأن الفيثاغورية برغم انتسابها الى فيثاغورس الا أنها تجاوزته الى جماعة الفيثاغوريين ، وهذا هو السر في أن المدرسة الفيثاغورية لم تنقرض بموت فيثاغورس ، ومازالت الفيثاغورية الى الآن خاصة في مجال الرياصيات والتصوف ، وهو ما سنشير اليه فيما يلي :

من حيث تسمية المدرسة ونشأة العلم الرياضي:

'المدرسة الفيثاغورية: هي مدرسة فلسفية أنشأها فيثاغورس في مدينة كروتون بجنوب إيطاليا في القرن السادس قبل الميلاد، تُسمى الفيثاغورية ولا يُقال مدرسة فيثاغورس، والفرق بين التسميتين كبير، لأن مدرسة فيثاغورس تنسب إلى شخص صاحبها، وتنقضي بوفاته، أما الفيثاغورية فإنها على الرغم من انتسابها إلى فيثاغورس إلا أنها تتجاوز شخصه إلى جماعة الفيثاغوريين، فالمدرسة في حقيقة أمرها تخضع لهيئة من القادة على رأسهم فيثاغورس، وهذا هو السّر في أن المدرسة لم تنقرض بموت رئيسها.[35]..

وهي أيضاً: مدرسة علمية عُنيت بالرياضة والموسيقى والفلك والطب وعرفت بضع قضايا حسابية وهندسية، ووضعت في الهندسة ألفاظاً اصطلاحية، وهي كهيئة سياسية كانت ترمي إلى إقرار النظام في المدينة على أيدي الفلاسفة، وهي كنحلة دينية كانت أصدق نظراً في الدين من

[35] – أحمد فؤاد الأهواني ، المدارس الفلسفية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة أ دط ، الأسكندرية ، 1965 ، ص14.

الأورفية، وهي مذهب فلسفي يعد بمثابة أول محاولة للارتفاع من المادة التي وقف عندها فلاسفة أيونية لفهم العالم بقوانين واضحة.

والفيثاغورية فلسفة رياضية كونية وطريقة صوفية تؤمن بتطهير الروح من البدن، وتُعِدُّ أتباعها لحياة التأمل والرياضة الروحية، وقد تضاربت الأقوال حول منشئها ومريديها، وأصبح من العسير حقاً أن نميّز بين الحقيقة والخيال فيما يورده المؤرخون من أساطير عنها، ويرجع السبب في ذلك إلى أن هذه الجماعة كانت تدين بتعاليم سرية يحرم على أتباعها إذاعتها على الجمهور، وبالإضافة إلى هذا نجد أن الفيثاغورية كطريقة صوفية، قد تداخلت مع تعاليم الأورفية، ولم يكن من الممكن التمييز التام بين تعاليم كل من النحلتين إلا عن طريق ما التزمه الفيثاغوريون من تفسير رياضي للوجود.

حين افتتح فيثاغورس مدرسته اجتذبت عدداً كبيراً من الأتباع، قيل إن عددهم بلغ ما يقرب من عشرة آلاف، والمدرسة كانت ذات وجهين: أحدهما: **رياضي** والآخر **أخلاقي وديني**، أما الجانب الرياضي فلم يكن يصلح لهذا العدد الكبير من الطلبة بطبيعة الحال، بل كان مقصوراً على قلّةٍ قليلة من الخاصة، ومعنى ذلك أن المدرسة ولو أنها كانت كلها سرية إلا أنها كانت تقدم دروسا للخاصة، في العلوم الرياضية، وأخرى للجمهور في الدين والأخلاق ،وقد بقي هذا التقليد سائداً في كثير من المدارس الفلسفية، وسنجده عند أرسطو الذي كان يُلقي دروساً للخاصة في الصباح وأخرى للجمهور في المساء، وهذه التعاليم الخاصة هي التي تحجب عن الجمهور، وتُسمى بالتعاليم المستورة، ويسميها الغزالي: المضنون بها على غير أهله". [36].

اهتمامات المدرسة:

كان التعليم بالمدرسة سماعاً وشفاهةً وتلقيناً عن الأستاذ، فكانت تعاليم المدرسة سرية يُعاقب من يُفشيها بالطرد. ويقال أن من آداب المدرسة 'الصمت' حتى لقد ذهبوا إلى أن التلميذ الجديد كان مطالباً بالصمت خمس سنوات كجزء من اختباره، ويريدون بذلك قبول الطالب التعاليم

[36] – دوجين لايرتبوس ، مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص60.

بغير أسئلة أو جدال، ثم يصبح له الحق بعد ذلك أن ينتقل من صفوف الفيثاغوريين المستمعين إلى خاصة التلاميذ، فيتلقى العلم على يد فيثاغورس.

ويقال أن طلاب المدرسة كانوا على نوعين خاصة وجمهور، أي تلاميذ منتظمون وتلاميذ مستمعون، أما الصفوة من التلاميذ فهم الذين كانوا مقربين من فيثاغورس ويُعلَّمون مذهبه ويُعَرَّفون أسرار التعاليم الرياضية والدينية، أما المستمعون فكانوا عبارة عن حلقة واسعة لا يُسمح لهم إلا باستماع القشور من التعاليم بغير تفسير دقيق.

ولم تكن الفيثاغورية مدرسة بمقدار ما كانت فرقة تقوم على نظام من الأخوة، وكأنها دير أو معبد، وكان جميع أفرادها يعيشون معيشة زهد وبساطة، ويلبسون زيا موحدا وهو البياض، ولا ينتعلون بل يمشون حفاة الأقدام، –سقراط كان من جملة أتباعهم فلا غرابة أن يسلك مسلكهم، كان يمشي حافي القدمين–.

والفيثاغورية أول مدرسة فتحت أبوابها لتعليم المرأة، وبذلك قررت الفيثاغورية مبدأ مساواة المرأة بالرجل قبل أن يقرره أفلاطون في جمهوريته بقرنين من الزمان.

يتوجب على الطلبة عدم الإسراف في الطعام أو الشراب، ولا يكثرون من الضحك أو الإشارة أو الكلام، ولا يحلفون بالآلهة: 'لأن واجب المرء أن يكون صادقا بغير قسم'، وكانوا يحاسبون أنفسهم آخر النهار عما فعلوه، فيسأل كل واحد منهم نفسه عن الشر الذي ارتكبه، والخير الذي قدمه، والواجب الذي أهمله.

وكان الطلبة – فيما يروي فورفوريوس– يتجنبون أكل اللحم، ...، ولكن أرستكسينوس يذهب إلى أن فيثاغورس لم يمتنع عن أكل اللحم على الإطلاق، بل لحم الثور الذي يقوم بحرث الأرض والكبش، ويبدو أن تحريم ذبح الحيوان وأكل لحمه يتصل اتصالا وثيقا بعقيدة التناسخ، فقد يمكن أن تكون روح الإنسان في بدن الحيوان الذي يذبح، ولا يزال النباتيون فريقا كبيرا في الهند حتى الآن.

وقد حفظ الزمان تقاليد الفيثاغوريين الخاصة بالأطعمة المحرمة، وبعض آدابهم، مثل: تحريم أكل الفول، عدم التقاط ما يقع على الأرض، عدم لمس الديك الأبيض، عدم تقطيع الخبز،

عدم تخطية حاجز، عدم تحريك النار بالحديد، عدم الأكل من رغيف كامل، عدم أكل القلب، عدم السماح للعصافير ببناء عشها في غرفة النوم، عدم النظر في المرآة إلى جانب النور.[37]

حياة وأعمال فيثاغورس :

نسجت حول شخصية فيثاغورس الكثير من الشكوك، "ونحن لا نعلم كثيراً من الأشياء اليقينية عن فيثاغورس، الذي ربما ابتدأت أسطورته في حياته نفسها، لقد وُضع في جنس متوسط بين البشر والآلهة، وقيل إنه كان يحضر في عدة أماكن في نفس الوقت، وإن له فخذاً من ذهب، وإنه نزل إلى الجحيم ثم صعد منه"، "وأن نهر نسوس (Nessos) أحياه إذ كان يعبره وأنه زار هادس أو العالَم السفلي ورجع منه كما فعل أورفيوس بني الأورفية، وقد شاهد في هذا العالم نفس هوميروس وهوزيود تُعذبان فيه عذاباً أليماً عِقاباً لهما على ما كانا يرويانه عن الآلهة".

أما عن شخصية فيثاغورس فإنه يحوطها كثير من الأساطير، ... ويُروى أنه ولد حوالي عام 570 ق.م، وعاش مائة عام ويقال ثمانين عاماً، وكان في شبابه مُحباً للمعرفة والحكمة فترك بلاده وجاب بلاد البرابرة بحثاً عن أسرار الآلهة. ،...، وعلى العموم فقد اعتقد فيثاغورس أنه كائن أسمى من البشر إذ كان يقول هناك بشر وآلهة وكائنات وسط بينما مثل فيثاغورس وكان يُشبّه الناس بجمهور الألعاب الرياضية بعضهم يحضر ليلعب وبعضهم يحضر للتجارة والربح أما البعض الأخر فيكتفي بالنظر فقط وهؤلاء هم الحكماء.

أما عن أتباعه الفيثاغوريين فلا نعرف عنهم الكثير خاصة المعاصرين منهم له ولعل السبب في ذلك هو النزعة السرية التي كانوا يحيطون أنفسهم بها فلم يكن يُسمح لأحد أن ينسب نظرية معينة لنفسه أو أن يذكر اسم فيثاغورس فكانوا يشيرون إليه بقولهم المعلم أو هو قال، وكانوا يعيشون عيشة مشتركة وكان فيثاغورس ينتقيهم ويختار أحسنهم خُلقاً ومنبتاً وجِديةً في التعلم ويظلون يستمعون للمدرس سنوات ويقال أن عددهم بلغ الثلاثمائة".

---

[37] – وولترستين ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة مجاهد عبد المنعم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط3 ، بيروت ، 2005، ص33.

انتقلت الفلسفة الأيونية نحو الغرب، وازدهرت مع فيثاغورس وأتباعه في جنوب إيطاليا أو كما كانوا يُسمونها قديماً بلاد اليونان الكبرى. وكانت العوامل السياسية هي أهم العوامل في هذه الهجرة، فمن جهة كانت غزوات الفرس المتكررة لساحل أيونية، ومن جهة أخرى احتدّ الصراع الداخلي بين طبقات المجتمع اليوناني بفضل الطاغية بوليقراطس الذي ضيق الخناق على كبار التجار والملاك، ففي ساموس مدينة فيثاغورس انتصرت سياسة الديمقراطية ولما كان فيثاغورس أكثر اتصالاً بهاتين الطبقتين فقد فرّ هاربا إلى مدينة كروتونا جنوب إيطاليا. وهناك استطاع أن يكوّن مدرسته وأن ينشر آراءه الفلسفية والسياسية بين أتباعه الذين انتشروا في هذه المناطق الزراعية التي كانت أكثر تِرحباً بنزعاتهم الروحية والمثالية.

وبعد أن استقر فيثاغورس في كروتون، لجأ إليه بعض أشراف سيبارس (Sybaris)، فنصح فيثاغورس أهل كروتون بحمايتهم وإيوائهم وإعلان الحرب على سيبارس، فلما انتصرت كروتون تولى حزب فيثاغورس الحكم. وبعد بضع سنوات ظهرت حركة تعارض هذا الحكم الاستبدادي برعاية قيلون (Kylon) وهو شريف غني أساء له فيثاغورس، – ويروى في سبب هذه الجفوة أن فيثاغورس رفض قبول قيلون في المدرسة لسوء أخلاقه– ، وقبل أن يشتد لهيب الحركة هاجر فيثاغورس إلى ميتابونتيوم حيث توفي هناك. أما أتباعه الذين بقوا في كروتون فقد كانوا ضحية مؤامرة مدبرة من قيلون وحزبه، إذ فوجئوا وهم مجتمعون في منزل ميلو (Milo) الرياضي، وحُرقوا أحياءً وماتوا جميعاً، ما عدا أرخيبوس وليسس التارنتي الذي فرّ إلى طيبة بالقرب من أثينا.[38]

أما بقية الأتباع الذين كانوا غائبين عن كروتون فقد اجتمعوا في (ريجيوم) حيث تابعوا السير طِبقاً لنظام فيثاغورس، ولكنهم لم يستعيدوا نفوذهم السياسي ، وبعد موت فيثاغورس كرّس أهل ميتابونتيوم بيته معبداً للإله ديميتر".

ولما تعاظم شأن أثينا قدمها نفر منهم، فكان لهم أثر خطير في الفلسفة والعلوم، ثم تلاشت الجمعية في عهد أفلاطون (حوالي سنة 350) ولم يبق منها سوى أفراد تناقلوا تعاليمها فكانوا

[38] – أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، دار قباء للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1990، ص224.

حلقة الاتصال بين هذا العصر الأول وعصر ثانٍ بدأ في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، واستمر إلى القرن الرابع بعده".

الإسهامات الفلسفية والعلمية للمدرسة الفيثاغورية:

تفسير نشأة الوجود:

يتلخص المذهب الرئيسي للفيثاغورية في العبارة القائلة 'بأن العدد هو جوهر الأشياء'، ولقد استطاع الفيثاغوريين أن يتوصلوا إلى هذا المبدأ من خلال دراساتهم الموسيقية، حيث تنبهوا إلى أن اختلاف الألحان الموسيقية وتنوعاتها إنما يتوقف على أطوال الأوتار في الآلات الموسيقية العازفة فاستنتجوا من ذلك بأن الانسجام الموسيقي تحدده نسب رياضية دقيقة تترجم عن هذه الأطوال وتعين طبقة اللحن الموسيقي.

وقد أدى بهم هذا الكشف في ميدان الموسيقى إلى أن يتساءلوا: إذا كانت الأصوات الموسيقية يمكن أن ترد إلى أعداد، فلماذا لا يمكن أيضاً أن ترد الأشياء كلها إلى أعداد؟ أو بمعنى آخر كأنهم يقولون: إذا كنا قد نجحنا في رد الأصوات الموسيقية إلى أعداد وهي في آخر الأمر إحساسات صوتية مثلها مثل الإحساسات الأخرى التي تنقل إلينا حقيقة الموجودات الخارجية، فإنه ليس من العسير أن نجد ترجمة رياضية عن سائر ما نقابله من الأشياء الخارجية، ذلك أنه توجد حقاً أوجه كثيرة للتشابه بين الأشياء والأعداد، وعلينا أن نكشف عن هذه النسب الرياضية التي نفسر بها الأشياء كما حدث بالنسبة للألحان الموسيقية.

ولا شك أن دراسة الفيثاغوريين الأعداد والأشكال والحركات والأصوات وما بينها من تقابل عجيب، وما لها من قوانين ثابتة –صرفت عقولهم إلى ما في العالم من نظام وتناسب، فرأوا أن هذا العالم أشبه بعالم الأعداد منه بالماء أو النار أو التراب، وقالوا إن مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات، أو أن الموجودات أعداد وأن العالم عدد ونغم.

– الأخلاق:

يُنسب لفيثاغورس أنه أول من استخدم كلمة 'فيلوسوفيا' أي محبة الحكمة، أو الجهد من أجل الوصول للحكمة، وينبغي أن نفهم الحكمة هنا بكل معانيها، حيث يختلط فيها النظر

بالعمل، فليس الحكيم من يعرف أشياء كثيرة فقط، بل هو أيضا من يسلك السلوك الحكيم، وهنا فإننا نضع أيدينا على فكرة أساسية للفيثاغورية شاركت في جعل تأثيرها يستمر خلال كل عصور الحضارة اليونانية، وفي الحضارة المسيحية، بل وكذلك في الحضارة الإسلامية، ألاَ وهي أن العلم إنما هو في النهاية أداة لتطهير النفس حينما تصل إلى هذه الحقيقة. ... وهكذا فإن الفيثاغورية مذهب أخلاقي يقوم على نوع من التصوف العقلي.

ومن قواعد سلوك أعضاء الجماعة 'امتحان الضمير' اليومي، فكل مساء كان على العضو أن يسأل نفسه: فيم فشلت؟ ما الطيب الذي فعلت؟ ماذا لم أفعل مما كان يجب علي أن أفعل؟ أما عند استيقاضه فكان عليه أن يحدد برنامج يومه. ومن القواعد الأخلاقية التي كانوا يملونها على أتباعهم:

- احترام الآلهة والخضوع لإرادتهم.
- الولاء للأصدقاء وكل شيء مشترك.
- الاعتدال والبساطة في خيرات الدنيا.
- **النفس والتناسخ:**

يقول الفيثاغوريون: 'النفس صورة الجسد'، ويقصدون أن النفس تقيم الجسم (تهب له شكله)، فالجسم محتاج للنفس أما النفس ليست بحاجة إلى الجسم. وهم يرون أن النفس هي ذلك 'الهباء المنثور' الذي يتطاير في الهواء والذي يظهر إذا أشرقت الشمس عليه في غرفة أو نحوها. واعتقد الفيثاغوريون بالتناسخ (أي بانتقال النفس من جسد إلى جسد بين الناس والحيوان أيضا).

-تطهير النفس:

النفس منفصلة عن البدن، وهي خالدة وأزلية: فإنها وجود سابق على وجود البدن ولا تفنى بفنائه. والبدن سجن للنفس، وليس للإنسان أن يفر من هذا السجن بالانتحار، لأننا كالقطيع الذي يملكه الراعي وهو الله، ليس لنا أن نهرب بغير أمره، أما السبيل إلى خلاص النفس بعد الموت وارتقائها إلى حياة أعلى بدلاً من تناسخها في أبدان أُخرى، وفي ذلك عذابها، فهو التطهير

أو التصفية. وقد أضاف فيثاغورس إلى الزهد الذي يهدف إلى تطهير البدن أمرين: الاشتغال بالعلم الرياضي والموسيقي لتصفية النفس.

كما كانت المدرسة الفيثاغورية أيضا مدرسة علمية، ومن بين العلوم التي اهتمت بها نذكر:

-الرياضات (الحساب والهندسة):

وضع فيثاغورس "مبادئ العلم الرياضي وأصوله، بيد أن البشرية قد سارت أجيالا كثيرة تخطو بالرياضة خطوات قطعت زمنا طويلا حتى انتقلت من الحس إلى التجربة. وقد عبّر الإنسان قديما عن طريق العد كتابة بما يدل على هذا الأصل المحسوس ولم يستعمل فيثاغورس الأعداد وذلك لأن الأعداد الحرفية على وجه الترجيح لم تكن مستعملة زمن فيثاغورس، ولو فرضنا أن فيثاغورس قد كتب الأعداد فأكبر الظن أنه استعمل الرموز العشرية التي استعملها المصريون القدماء من قبل. لقد فطن فيثاغورس إلى وجود صلة وثيقة بين العدد والشكل الهندسي، فكانت الأعداد بذلك أشكالا: الواحد نقطة، والإثنان خط، والثلاثة مثلث، والأربعة مربع.[39]

- الموسيقى عند فيثاغورس:

يرجع الفضل إلى الفيثاغوريين في اكتشاف السُلم الموسيقي والنسب في الوتر، فقد علموا أن الصوت الحاصل من نقر نصف الوتر أو ربعه يختلف من الصوت الحاصل من نقر الوتر كله، وقيل أن فيثاغورس استخرج بذكائه علم الألحان وتأليف النغم، وأوقعها تحت النسب العددية، ...، أما سماع صوت النجوم ففسروه كما يلي: جميع الأجسام المتحركة بسرعة تُحدث لحنا – صوتا موزونا عذبا أو مزعجا– وكذلك للكواكب أصوات. لكن بما أننا ولدنا والصوت موجود فقد ألفت آذاننا هذه الأصوات فأصبحت لا تشعر بوجودها، ولكن لو اتفق ان وقفت الكواكب فجأة عن الدوران لشعرنا بخلاء آذاننا من ذلك اللحن، ومثل ذلك مثل الطحان الذي تعود صوت طاحونته فهو ينام بينما البغل يدور بها، فإذا وقف البغل عن الدوران استيقظ الطحان.

-الطب:

[39] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص 37.

يقوم الطب الفيثاغوري على فكرة التناسب بين الأضداد، فالجسم مركب من الحار والبارد والرطب واليابس، ومن واجب الطبيب أن يهيئ أفضل مزيج بينهما، وقد نشأت في كروتون مدرسة طبية مشهورة، أقدم من زمان فيثاغورس، ثم اندمجت بتعاليمه، وعلى أي الحالات فنحن لا نعرف من آراء تلك المدرسة إلا ما جاء عن ألقمايون (Almaion) أحد تلاميذ فيثاغورس. وألّف ألقمايون كتاباً في الطبيعة مما يُشعرنا بأثر المدرسة الأيونية، ولعله كان لاجئاً من آسيا الصغرى هجرها بسبب استعمار الفرس مثل غيره م المفكرين الأحرار، وتعتمد نظريته في الطب – ويمكن القول أن أساسها موجود عند فيثاغورس– على أن الصحة هي اتزان قوى الجسم، فإذا تغلبت إحدى القوى اختلّ توازن الجسم، ... وهذا هو المرض، وبمعنى آخر يحدث الاتزان من اعتدال الأضداد وامتزاجها امتزاجا مؤتلفاً يكون منه الهارمونيا، ...، ويعنى الطبيب في إحداث هذه الحالة بأمرين هما: الغذاء والمناخ. فالاعتدال في الغذاء يعني تناول أطعمة مختلفة بنسب خاصة، وقد يعني التوسط بين الإفراط والتفريط. واعتدال المزاج هو التوسط بين أخلاط الجسم أي الحار والبارد والرطب واليابس.

الفلك:

كما نبغ الفيثاغوريون في الهندسة والطب والموسيقى، كذلك برعوا في ميدان علم الفلك. ولقد ارتبط الفلك عندهم ببعض الاعتبارات الرياضية فذهبوا مثلاً إلى أن العدد عشرة هو أكمل الأعداد لأنه مؤلف من الأعداد جميعا وحاصل على خصائصها جميعا، فيلزم أن الأجرام السماوية المتحركة عشرة (لأن العالم كامل وحاصل على خصائص الكامل) وذهبوا إلى أن مركز العالم يجب أن يكون مضيئاً بذاته، لأن الضوء خير من الظلمة، ويجب أن يكون ساكناً لأن السكون خير من الحركة، فليست الأرض مركز العالم وهي مظلمة وفيها نقائص كثيرة ولكنه (نار مركزية) غير منظورة لأنها واقعة هي أيضاً إلى أسفل أرضنا.

ولم يَفُتْهم أن يُعينوا لكل من النار المركزية والأرض الأخرى شأنا في نظام العالم.

النار المركزية تمد الشمس بحرارتها فتعكس الشمس الحرارة على الأرضين وعلى القمر، والأرض الأخرى تفسر الكسوف والخسوف بتوسطهما بين النار المركزية وبين القمر والشمس،

ومهما يكن من قيمة استدلالهم، فإن تنحيتهم الأرض من مركز العالم كان ثورة على التصور القديم.

وقد عرف الفيثاغوريون أن الأرض كروية وربما كانوا أول من عرف ذلك، ...، ولعل فيثاغورس قد اهتدى إلى كروية الأرض من النظر إلى السفينة وهي في عرض البحر، فوجد الصاري يبرز أولاً مما يدل على أن سطح البحر ليس مسطحاً بل منحنياً، والأجرام السماوية كروية والأفلاك التي تدور فيها الأجرام السماوية دائرية، وهي لا تجري على هواها بل في مدار ثابت وحركة رياضية منتظمة.

ومنه تمتاز المدرسة الفيثاغورية بما يلي:

تنطوي الفلسفة الفيثاغورية على بذور نهضة عظيمة، متعددة الوجوه، فهي:

- فهي نزعة صوفية، ونحلة دينية، وحركة سياسية، وثورة إصلاحية.
- وهي مدرسة علمية اهتمت بالرياضة والموسيقى والفلك والطب.
- بل هي قبل ذلك وبعد نظرية في الإنسان والكون والحياة والمصير، خطت بالفلسفة خطوة جديدة نحو التفكير المجرد، فطفقت الفلسفة منذ ذلك الحين تتحلل شيئا فشيئا من تلك النزعة الطبيعية التي سادت عند فلاسفة أيونيا، لتستقبل صيغة جديدة هي صيغة الفلسفة في أصح معانيها: أعني التفكير المحض فيما وراء الطبيعة وظواهرها.
- ولئن كان مجهود المدرسة الفيثاغورية في ذلك الانتقال متعثراً ضئيلاً مختلطاً بالأوهام والأساطير –لأن الخطوة الأولى هي أصعب الخطوات– فإن الفلسفة تظل مدينة للمدرسة الفيثاغورية بالمحاولة الأولى في ذلك على كل حال.
- ومن آثارها:

أثر فيثاغورس تأثيرا كبيرا في تاريخ الفكر الفلسفي قديمه ووسيطه وحديثه، أثر في أفلاطون الذي جعل من الهندسة أساسا لتعلم الفلسفة حين علّق على باب أكاديميته العبارة القائلة 'لا يدخل علينا إلا من كان رياصيا'.

كما أثرت الفيثاغورية في القرون الوسطى وتركت بصمات وآثارا كبيرة في إخوان الصفا على وجه الخصوص، ومن فلاسفة الإسلام الذين تأثروا بتعاليمه ابن سينا وبخاصة في قصيدته العينية.

ولا زال تأثير فيثاغورس في الفكر البشري موجودا إلى اليوم، فالمثل الأعلى لجميع العلوم هو صياغتها في قوانين ومعادلات رياضية، وأن المنهج الرياضي هو المنهج السائد في كثير من العلوم وهو المنهج الذي اعتمد عليه ديكارت في الفلسفة لبلوغ اليقين.[40].

[40] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص 37.

المحاضرة السادسة : المدرسة السفسطائية

عناصر المحاضرة

تمهيد

السفسطائية من حيث التسمية

خصائص التعليم السفسطائي

السياسة والديمقراطية (عوامل الظهور)

بروتاغوراس

جورجياس

تمهيد :

الفلسفات السابقة على سقراط بعد أن بحثت في العالم الخارجي من جوانبه المتعددة وتناولته في ظواهره المختلفة حتى استنفدت كل إمكانياته وأحواله ولم يبق في جعبتها شيء تقوله فيه، ونتيجة لتغير الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي سادت الحياة في أثينا – منذ النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد– فقد حدثت أزمة في الفكر والحياة أطاحت بكثير من المعايير، وتعرضت القيم الأخلاقية والقوانين السياسية لعاصفة شديدة من النقد اللاذع والمعارضة القوية أهابا بالإنسان إلى أن يفحص أفكاره من جديد ويعيد النظر في قيمه الروحية والأخلاقية ويراجع الأسس التي تقوم عليها الدولة وقوانين الدولة، وأعظم من يعبر عن هذه الأزمة طائفة السوفسطائيين، كما أن أعظم من صمد لها معاصرهم سقراط والآن نتطرق للمدرسة السفسطائية.

السفسطائية من حيث التسمية :

نجد أن تسمية سوفسطائي غير واضحة تاريخياً – في المضمون والشكل معاً– بل تبدو مضللة في كثير من الأحيان، فقد ظهر السوفسطائيون في القرن الخامس قبل الميلاد، على أن هذا الاسم لم يكن معروفاً من قبل في القرن السادس، بل كان الذائع على الألسن اسم الشاعر

والكاهن والطبيب والعراف والفيلسوف، كما "كان اسم 'سوفيست' يدل في الأصل على المعلم في أي فرع كان من العلوم والصناعات، وبنوع خاص على معلم البيان، ثم لحقه التحقير في عهد سقراط وأفلاطون، لأن السوفسطائيين كانوا مجادلين مغالطين وكانوا متاجرين بالعلم.

كذلك اسم السفسطائي كان يعني الرجل الحكيم الذي أثبت أمام الجمهور قوة باعه في الأمور العقلية أو أظهر مهارته في جانب ما من جوانب النشاط، ...، هذا هو المعنى الأصلي، ولكن بدأ يظهر معه شيئاً فشيئاً اتجاه نحو الغيرة من هؤلاء 'الحكماء' المتفوقين إلى جانب المعنى الأصلي والعام بدأ هذا اللفظ في النصف الثاني من القرن الخامس يشير إلى المجموعة التي ستحتفظ بهذا الاسم لنفسها، وهي مجموعة السفسطائيين.

هناك من يعرف السفسطائية بأنها: "حركة تنويرية إنسانية نشأت نتيجة لتغيرات سياسية واجتماعية وروحية مرت بها بلاد اليونان في أواخر القرن السادس وبداية القرن الخامس قبل الميلاد، ورداً على الفلاسفة السابقين على سقراط الذين غالوا في تقديس الطبيعة الخارجية على حساب الطبيعة الداخلية، وقيل في منهج السفسطائية بأنه نوع من الاستدلال يقوم على الخداع والمغالطة.

وتجدر الإشارة إلى أنه: لم تكن السوفسطائية مدرسة فلسفية كالفيثاغورية أو الإيلية، وبالتالي لم يكن لديهم مدارس يختلف إليها التلاميذ، بل كانوا ينزلون في بيوت الأثرياء في أثينا مثل (كالياس) الذي نزل عنده 'بروتاغوراس'، و(كاليكليس) الذي نزل عنده 'جورجياس'، وفي بعض الأحيان كانوا يلقون محاضرات في أماكن عامة لقاء أجر للدخول، كما كانوا ينتهزون فرصة الألعاب الأولمبية والأعياد اليونانية ليعرضوا فنهم على الوافدين من جميع المدن كما كان يفعل شعراء الجاهلية في سوق عكاظ.

إذ يتفق السوفسطائيون في خاصية واحدة هي أنهم معلمون متجولون يتناولون الأجر على التعليم، مما أثار كره الشعب والمفكرين لاسيما سقراط ومن بعده أفلاطون ، ذلك أن أفلاطون يصف السوفسطائي بأنه يتصف بالجشع المادي أكثر من اتصافه بحبه للعلم وذلك

لأنه يبيع العلم في مقابل المادة. والعلم السوفسطائي علم زائف ومضلل ومفسد للعقول، فالعلم في نظر سقراط وأفلاطون أسمى من أن يتقاضى عليه المعلم أجراً.

أما عن هدف هذه الأخيرة فإنه يمكن القول: لم يكن هدف السوفسطائيين نظرياً، بمعنى انهم لم يضعوا البحث عن الحقيقة هدفاً لهم بل كان هدفهم عملياً، وهو تكوين المواطن، وبهذا يُعَدون حلقة جديدة من حلقات الفكر اليوناني، فعلى حين ان السابقين عليهم من الطبيعيين كانوا يبحثون في أمور نظرية فإن السوفسطائيين تركوا المسائل الطبيعية المتنازع عليها ليوجهوا اهتمامهم إلى المهم والمفيد، وهو العمل. وهدفهم عملي بمعنى ثان: هو أنهم كانوا يحاضرون من أجل المال، وهناك معنى ثالث: هو أنهم كانوا يعدون تلامذتهم من أجل النجاح في الحياة اليومية وفي الحياة السياسية.[41].

- **خصائص التعليم السفسطائي:**

– أنهم معلمون بالأجر، فهم فعلاً أول من حدد أجراً لدروسهم، وقد كان عظماء السفسطائيين لا يدرسون في العادة إلا للأثرياء القادرين، ولكن الجيل التالي عليهم بدأ يوسع من جمهوره أكثر وأكثر راضيين بمبالغ أقل وأقل. وقد أثار هذا عليهم قدراً مفهوماً من الحسد عند العامة وعند كثيرين من غير العامة، وصاحَبَ هذا نفور عام من ربط العلم بطلب الرزق. ويمثل هذا الشعور الأخير أحسن تمثيل سقراط، فهو يفاخر بأنه لم يتلق أجرا في حياته عن مصاحبته للشباب. والفكرة الرئيسية وراء هذا النفور أن العلاقة المالية بين المعلم والتلميذ تجعل الأول في حالة أقرب ما تكون إلى العبودية إزاء الثاني.

– كانوا معلمين متجولين ينتقلون من مدينة إلى أخرى، ويصطحبهم تلاميذهم أحياناً حتى ليكادون يشكلون حاشية لهم، تنظر إليهم باحترام وهي على انتباه دائم لما ينطقون به. وقد كان السوفسطائيون على حس إعلاني مرهف، فهم يعرفون كيف يعرفون بأنفسهم وكيف يعرفون بأنفسهم ويجتذبون تلاميذ جددا.

[41] – يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص 65.

– تركزت مهمة السوفسطائيين في تقديم تعليم منظم في الوقت الذي لم تكن فيه اليونان تعرف عن هذا التعليم إلا القليل إذ كانوا معلمين جوالين يقدمون دروساً تعليمية على أساس احترافي، أي أنهم قد اتخذوا التعليم حرفة لهم فكانوا يرحلون من بلد إلى بلد يلقون المحاضرات ويتخذون لهم طلبة ويتقاضون على تعليمهم أجراً، وكان هذا من أسباب كرههم لأن ذلك لم يكن عادة الشعب اليوناني قبلهم.

– برع السوفسطائيون في ميادين عديدة: في النقد الأدبي والجدل والأدب والخطابة والفلسفة والأخلاق والسياسة، ولم تقف مهارتهم عند حد العلوم النظرية بل تخطوها إلى مجال العلوم العملية، وقد كان السوفسطائي يرتدي زيا خاصا هو العباءة الأرجوانية ويلقي الخطب في المناسبات والأعياد نظير أجور باهضة على هذا التعليم.

– كما تحتل الخطابة مكاناً رئيسياً في نشاط السوفسطائيين، حتى أنهم في نظر البعض معلموا خطابة أولاً وقبل كل شيء ولا شك أنهم انتقلوا من الاهتمام بالتعليم على وجه العموم إلى تعليم الخطابة على وجه الخصوص: من جهة لاهتمام تلامذتهم بأن يتهيئوا للعمل السياسي، وأداته الأولى ربما كانت التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة، ومن جهة أخرى فإن الخطابة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم 'الإقناع' الذي اهتم به السوفسطائيون.

– وابتداء من الخطابة اهتم السوفسطائيون باللغة أكبر الاهتمام. والمعروف مثلاً عن بروديقوس تمييزه بين معاني الكلمات، ويرى بعض المؤرخين أن السفسطائيين هم مؤسسو علم النحو اليوناني.

– قال ماجد فخري في وصف منهجهم وغايته: "التزم السفاسطة منذ عهد بروطاغوراس بتعليم الفضيلة، ولكنهم قصدوا بها الفضيلة العملية ولا سيما المهارة في الميدان السياسي والقضائي. وكان السبيل الذي سلكوه إلى هذا الهدف يختلف عن سبيل قدماء الفلاسفة، لاسيما الإيليائيين الذين تدرَّعوا بالمنطق قبل كل شيء، فقد تدرَّع السفاسطة بالخطابة أو الجدل في المماحكات السياسية والقانونية. ولم ينفوا قط التهم التي كانت توجه إليهم منذ عهد سقراط، وهي

أنهم كانوا يفضلون هدفها النجاح على الحقيقة، أو النتائج العملية على المقدمات أو المبادئ النظرية الصرفة.[42]

– السياسة والديمقراطية عند السفسطائية: عوامل الظهور:

– عوامل سياسية: يرجع ظهور السوفسطائيين إلى الطلب المتزايد على التعليم الشعبي الذي كان مطلباً أصيلاً من أجل الاستنارة والمعرفة في جانب منه، لكن كان في الأغلب رغبة في تعليم مثل هذه المعرفة المغرضة التي تؤدي إلى النجاح الدنيوي والسياسي بصفة خاصة، وحمل انتصار الديمقراطية معه أن الوظائف السياسية متاحة الآن للجماهير والتي كانت محجوبة عنهم. ويمكن لأي إنسان أن يرتفع لذروة المناصب في الدولة إذا كان مزوداً بالمهارة والقدرة على الخطابة وإثارة مشاعر الدهماء ومتسلحاً بالتعليم، ومن ثمة ظهرت الحاجة لمثل هذه التربية التي تُمكِّن الإنسان العادي من شغل منصب سياسي له. وهذه الحاجة هي التي أخذ السوفسطائيون على عاتقهم إشباعها.

– عوامل دينية: تتلخص في الحروب الكثيرة الداخلية والخارجية وما تركته من أثر في بلاد اليونان حيث تزعزعت ثقة الناس بمفهوم الدولة الإلهية وبالتالي بالقوة الغيبية التي يلوح بها بعض الأذكياء لإخضاع الأغلبية لهم. ويرى السوفسطائيون أن الإيمان بالآلهة ذاتها إنما هو نتيجة الحيلة التي اصطنعها المشرعون والساسة لكي يلجموا العامة ويجمدوا بذور الجرائم التي لا ينالها القانون والتي تخفى على التشريعات الوضعية ومن ثم لم يعد للقانون قدسية دينية إنما أصبح مجرد صيغ اتفاقية موضوعة من قبل بعض الناس لتحقيق مآربهم ومنافعهم.

– عوامل اجتماعية: كان من آثار التنقل والترحال والاحتكاك بالأجانب عن طريق الحروب والتجارة أن اطلع الناس على الحضارات المختلفة وتقاليدها مما أدى بهم إلى التساؤل عن الحضارة وهل هي من خلق الإنسان أم من صنع الآلهة؟ ومن ثمة انتهى السوفسطائيون إلى القول بنسبية العادات والتقاليد والقوانين والعرف، فما ينطبق في مجتمع ما قد لا يكون كذلك في

[42] – عبد الرحمان بدوي ، الموسوعة الفلسفية ،ج2 ، المؤسسة العربية للدراسات ، ط1 ، ص174.

مجتمع آخر، ونتج أيضاً أن اللغة أصبحت ذات أصل تعاقدي وكذا الدولة والقوانين نسبية وضعية.

– عوامل فكرية: نشأت السوفسطائية نتيجة "تضارب الآراء الفلسفية واختلاف المذاهب حول الموضوعات الواحدة. فقد زعم طاليس أن العنصر الأول الذي نشأ منه العالم هو الماء. وقال انكسيمانس هو الهواء. وأكد هيراقليطس أنه هو النار وأن كل ما في العالم متغير ما عدا قانون التغير، وأعلن برمنيدس أن القانون الوحيد المتحقق الوجود هو قانون الوحدة والثبات، وأن الحركة والتغير أوهام باطلة من اختراع الحس، وقال أمبذوقليس بل الأصول أربعة: الماء والهواء والنار والتراب.

لقد اضطرب التفكير واختلت العادات والتقاليد وانقلبت الحياة العقلية والخلقية والاجتماعية رأساً على عقب والناس في وجود حقيقة مطلقة، وحاروا في فهم أسرار الكون وخفايا الوجود. وتعرضت القيم الأخلاقية والقوانين السياسية من جديد للمزيد من النقد والصراع العنيف أدى بالإنسان إلى أن يعيد النظر مرة أخرى في أفكاره ومُثُله وما تجمع له من معارف ومكتسبات.

وفكّر الحكماء والمستنيرون تفكيراً طويلاً فوجدوا أن الكون لا يزال معمى كما كان قبل نشوء هؤلاء الفلاسفة جميعا، وأن المشكلة الكبرى لا تزال مطروحة على بساط البحث، وأن كل ما وصل إليه الفلاسفة من آراء وأفكار لم يزد البحث عن الحقيقة إلا تعقيداً ولم يزد العقول إلا ارتباكاً وإرباكاً، أليس هذا الاختلاف في الآراء والتناقض في الحلول، موجباً لإسقاطها جميعاً؟ إذا كان في هذا العالم من حقيقة فهي ألا حقيقة له، وأن الحقيقة هي أمر نسبي يختلف باختلاف الأفراد والجماعات، ويتباين بتباين العقول والأذهان.[43]

الشخصيات البارزة للمدرسة السوفسطائية:

يمكن أن نتتبع أهم نظريات السفسطائيين في الفلسفة بوجه خاص عند أعظم مشاهيرهم ونكتفي بـ :

بروتاغوراس:

[43] – جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص 659.

ولد في أبديرا وعرف فيلسوفها الكبير ديمقريطس، وبعد أن طاف أنحاء إيطاليا الجنوبية واليونان يلقي فيها الخطب البليغة قدم أثينا حوالي سنة 450 ولم تطل إقامته فيها لأنه كان قد نشر كتاباً أسماه الحقيقة وردت في رأسه هذه العبارة: 'لا أستطيع أن أعلم إن كان الآلهة موجودين أم غير موجودين، فاتهم بالإلحاد وحكم عليه بالإعدام وأُحرقت كتبه علناً ففر هاربا ومات غرقا في أثناء فراره.[44]

أشهر نظريات بروتاغوراس في الوجود والمعرفة:

نَسب بروتاغوراس كل شيء في الوجود إلى الإنسان الفرد، وذلك لقوله 'إن الإنسان مقياس كل الأشياء، مقياس تلك الأشياء الموجودة، والأشياء غير الموجودة، ذلك لأنه هو الذي يحكم على الموجودات بأنها موجودة، وعلى غير الموجود منها بأنه غير موجود، وإذا فصلّنا هذا القول لبروتاغوراس وجدنا أنه يتضمن دعوى خطيرة إذ أنه: ينقل مشكلة المعرفة من الموضوع إلى الذات العارفة، وذلك بعد أن كان الفلاسفة من الطبيعيين يتكلمون عن موضوع خارجي وعن وجود طبيعي. وثمة أمر آخر يعزى الفضل فيه لأتباع بروتاغوراس وهو أنهم أول من أشار إلى المعنويات وإلى الصفات المعنوية بعد أن ألزم الطبيعيون أنفسهم في حدود الحس والمحسوس، فالموجودات عند بروتاغوراس وأتباعه منها ما هو معنوي ومنها ما هو حسي، والمعنوي منها كالشر والخير والظلم والعدل والجميل والقبيح والفضيلة والرذيلة، أما المادي كالحجر والشجر والماء...".[45].

* وتتلخص نظريته في المعرفة في أمور ثلاثة:

- الإحساسات صادقة وهي معيار الحقيقة.
- المعرفة نسبية.
- الوجود متوقف على المدرك.

[44] – جعف آل ياسين ، فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط ، مرجع سابق ، ص147.

[45] – يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص65.

وعلى ذلك تبطل الحقيقة المطلقة لتحل محلها حقائق متعددة بتعدد الأشخاص وتعدد حالات الشخص الواحد..

– أما عن رأيه في الأخلاق والسياسة: فيشتهر بنظريته النسبية في الأخلاق والتي تعد الإنسان مقياس كل شيء وفي مقدمة كتابه عن الآلهة يقول: ' فيما يتعلق بالآلهة لست أدري إن كانت موجودة أم لا وعلى أي شكل تكون لأن أسباب الجهل بهذا الأمر كثيرة أولها غموض الموضوع ثانيهما قصر الحياة' ويقال أنه طرد من أثينا بسبب هذه العبارة.

– كان يرى أن القانون والنظام ليسا من طبيعة الإنسان منذ البدء وإنما اتفاقنا عليهما مر بتجارب مريرة لأنهما لا زمان لبقائنا، ويترتب على ذلك أن كل الناس الذين يعيشون في مجتمع لديهم قناعة بالقيم الخلقية والعقلية ويجب أن يعاقب من يحيد عن هذه القيم. بمعنى آخر، أشار بروتاغوراس إلى أن كل القيم الأخلاقية والقوانين أمور نسبية صالحة فقط للتطبيق على المجتمع البشري الذي قام بإقرارها ويرتبط بقاؤها ببقاء ذلك المجتمع الذي يعتبر أنها صحيحة، فليست هناك ديانة مطلقة أو أخلاق مطلقة أو عدالة مطلقة فكلها أمور نسبية، كما أ القوانين مثل اللغة والعقائد الدينية والنظم الأخلاقية أمور تعاقدية.

– وفي باب استهلال فن الجدل أو الخطابة يقول ديوجنيس إن بروطاغوراس أول من ذهب إلى أن لكل قضية وجهين متضادين، وأن الخطيب الفذ يستطيع أن يدافع عن صحة كلَّ منهما، كما يُنسب إليه قسمة الكلام إلى أربعة أقسام: التمني والسؤال والجواب والأمر.

– أشار بروتاغوراس إلى مبادئ التربية في كتابه 'عن الفضائل' ويذكر زيلر جملا قليلة أهمها:

– التعليم يحتاج إلى مواهب طبيعية وممارسة.

– ينبغي للإنسان أن يبدأ التعليم في شبابه.

– لا قيمة للتعليم ولا أثر في الروح دون أن يتغلغل في أعماقها.

– العقاب أمر ضروري من أجل التطوير في حين أن الانتقام أمر مرفوض.

– رأي بروتاغوراس في الفن: ذكره في كتابه 'الحجج المضادة' إذ يعتبر أن المرء يكتسبه عن طريق الخبرة والتعليم، وليس موهبة إلهية تميز الفنان عن غيره من البشر، ولا غرو فهذا الرأي يتمشى مع فلسفته التي تتخذ من الإنسان نقطة بداية لها، كما أنه أول من نبّه إلى أن الفن ليس وحياً سماوياً، بل هو ظاهرة إنسانية يدخل فيها عامل الصنعة والإرادة.[46].

– **جورجياس:**

من مواطني ليونتيني (Leontini) بصقلية. وفد على أثينا سنة 427 ق.م. وهو مُتقدّم في السّن، ويشير إليه أفلاطون في الدفاع (399 ق.م). ولا نعلم شيئاً عن تاريخ وفاته ولكننا نعلم أنه عمّر حتى المائة، في ميدان الفلسفة تتلمذ على غورجياس (Gorgais) على أنبدقليس، ولكنه لم يلبث أن اختار سبيل الخطابة التي آلت به إلى الشكوكية الصارمة، وكان أشهر تلامذته الأثينيين أيسقراطس الخطيب والمربي الشهير. وبلغ من شهرته أن تعرّف على سقراط وأثار إعجاب بركليس وثوسيديديس المؤرخ وألكبياديس القائد العسكري وسواهم، وذلك بسبب بلاغته التي أدهشت الأثينيين، وحتى أفلاطون سمى محاورة غورجياس باسمه.

أهم آراء جورجياس: في الوجود والمعرفة:

وضع كتابا في 'اللاوجود' قصد به إلى التمثيل لفنه والإعلان عن مقدرته بالرد على الإيليين والتفوق عليهم في الجدل. وتتلخص أقواله في قضايا ثلاث:

– الأولى: لا يوجد شيء.

– الثانية: إذا كان هناك شيء فالإنسان قاصر عن إدراكه.

– الثالثة: إذا فرضنا أن إنسانا أدركه فلن يستطيع أن يبلغه لغيره من الناس.

ثالثا: تقييم عام للمدرسة السوفسطائية:

هناك من الدارسين من يعتقد بأنه: كانت الحركة السوفسطائية مرحلة ضرورية، في تطور الفلسفة عند اليونان فهي ليست ظاهرة ثانوية أو خارجة عن التطور بل كانت نشازاً طبيعياً لتصحيح أوضاع وإقرار أوضاع والقضاء على أوضاع والتعجيل بأوضاع، وما كان شيء من

[46] – جعفر آل ياسين ، فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط ، مرجع سابق ، ص 158.

ذلك ليحدث لو سارت الأمور على سجتها، فكان لا بد من صدمات توقظ النيام الغافلين، ولا بد من هزة ترد الذات إلى ذاتها وتعجل عملية المخاض الكبير، إن هذه الخطوة الجديدة التي خطتها الفلسفة اليونانية كانت خطوة كبيرة جداً وهامة جداً. فهي التي نقلت الفلسفة اليونانية من السطحية إلى العمق، ومن البساطة إلى التعقيد، ومن محيط الدائرة إلى مركزها، فبهذه الخطوة الجبارة أصبح الإنسان في صميم الأشياء بعد أن كان بعيداً عنها. إنها الخطوة التي ظلت الفلسفة تترقبها طويلاً حتى خطاها 'كانط' في فلسفته النقدية في العصر الحديث. فأعظِمْ بها نقلة قام بها السوفسطائيون قبل المسيح بعدة قرون.

وهكذا فالسفسطائية رغم كل ما يقال فيها، فلسفة إيجابية بناءة، إنها ثورة على السلبية وطريقة التفلسف الساذج التي تجعل من الإنسان مجرد كائن متفرج شبيه بجهاز للتسجيل لا دخل له فيما يجري خارجه من أحداث ولا مشاركة له في تكييف الظواهر. وما قدَّر القدماء هذه الحركة حق قدرها لأنهم لم يفهموها ولم يدركوا المعنى العميق الذي ترمز إليه، بل سارعوا إلى ضربها في المهد قبل أن يستفحل خطرها. فرأينا عملاقا كبيراً كسقراط أو أفلاطون يجعل غاية جهده مهاجمتها والرد عليها كما هوجم كوبرنيقوس لا لشيء إلا لأنه عَرَفَ الحق فَجَهَرَ به، وعليه تعد السفسطائية دعوة طليعية جريئة حقاً لم تسلم من بعض المخاطر: فكل مخاض له مخاطره. لذلك حق لكثير من مؤرخي الفلسفة المحدثين أن يقارنوا بين عصر السوفسطائيين وحال أوروبا في القرن الثامن عشر عندما تغيرت ملامح الحياة فيها بعد الثورة الصناعية الجديدة التي نتج عنها مشاكل ومعضلات ظلت تشغل فلاسفة ذلك العصر المعروفين بفلاسفة التنوير.

وعلى كل حال ان السوفسطائيين هم الذين أيقظوا العقل من سباته العقائدي وانتصروا لاستقلال الفرد واحترام شخصيته وحمايته من تدخل الحكومة والجماعة معاً، ولئِن أثاروا من المشاكل أكثر مما قدموا من الحلول فإنهم قد مهدوا بذلك السبيل إلى إيجاد مُثُل راسخة في تفكير الإنسان ووجدانه وسلوكه. وحسبهم فخراً أنهم قد أنجبوا سقراط.

وهناك من يعتقد "إن أهم عمل قام به السوفسطائيون هو الشك في كل شيء، فالشك هو الطريق إلى الحق.،...، إن العقل اليوناني في ذلك العصر كان قد وصل إلى حالٍ من الشك

لم يعرفها من قبل: شك في الفلسفة التي عجزت عن تفسير الكون، وشك في الدين الذي أصبح من السخف بحيث لا يستطيع أن يؤمن به عقل يحترم نفسه، وشك في الحياة السياسية التي اشتد فيها الاضطراب وعبثت بها الحروب من جهة والثورات من جهة أخرى، والأهواء الشخصية من جهة ثالثة، وكاننت السوفسطائية لا تعترف إلا بشيء واحد هو المنفعة الفردية.

فالسفسطائية ليست حركة سلبية كما يعتقد الكثيرون ممن يحكمون على الأشياء بظواهرها، وإنما هي مشروع إيجابي خصب، إنها أول ثورة في التاريخ لمعرفة الإنسان واكتشاف حقيقة الإنسان، فليس صحيحاً ما يقوله شيشرون من أن سقراط هو الذي أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، بل السوفسطائيون هم الذين أنزلوا الفلسفة من قبله. وبهذا المعنى لا يعدو سقراط أن يكون تلميذاً للسفسطائيين، ولكنه كان –بمعنى من المعاني– تلميذا عاقا.[47].

[47] – فيصل عباس ، الفلسفة والانسان ، جدلية العلاقة بين الانسان والحضارة ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1 ، 1996، ض81.

المحاضرة السابعة : مدرسة سقراط

عناصر المحاضرة

تمهيد

حياة سقراط

المنهج السقراطي

المعرفة عند سقراط

الأخلاق عند سقراط

تمهيد :

في هذا التمهيد نشير إلى شخصية سقراط ومسارها من خلال النقاط الآتية:

سقراط: عصره ، حياته، محنته، وفاته:

جاء سقراط في غمرة تأرجح الفكر اليوناني بين الإنسان والطبيعة وعندما كان الصراع على أشدّه بين الذات والموضوع، وكان العصر الذي فيه سقراط من أزهى عصور أثينا وأكثر خصباً، فإن انتصار اليونان على الفرس في حربين متتاليتين قد بثَّ فيها روحاً جديدة. لقد كان انتصارا مدهشاً حقاً أنقذها من خطر 'البرابرة'، فانتفضت تلك الانتفاضة الرائعة التي لم تستطع حروب البلوبونيز الطويلة بين إسبرطا وأثينا أن تنال منها رغم أنها انتهت بتدمير أثينا، بل على العكس ان هذه المدينة التي أثخنتها الجراح لم تفقد الأمل فتطلعت إلى التوفيق بين طبيعة وضعها وبين أهداف كانت تفوقها، وسرعان ما نهضت من كبوتها تؤكد أصالتها السياسية والفكرية. وانفتح أمامها ميدان واسع للسياسة والتجارة، ميدان التحوّل إلى مملكة بحرية.[48]

ودخلت الديمقراطية بواسطة بريكليس (499 ق.م–429 ق.م) ودخلت معها عادة تقديس العقل والفن والقانون، فغدت أثينا حاضرة العلم والفكر والأدب، تمركزت فيها الفلسفة وفيها انصبت عصارة ما تمخضت عنه الحركة العقلية من لدن نشأتها في أيونيا حتى بلغت صقلية

[48] – فتح الله خليف ، سقراط ومنزلته في الفكر الفلسفي ، حوليات كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، ع4 ، جامعة قطر ، 1991، ص122.

وجنوب إيطاليا. لقد كان في أثينا فنانون يرهفون النفوس بفنهم، وكان فيها شعراء يمسون شغاف القلوب بقصصهم وأساطيرهم، وكان فيها رجال دين يقيمون الشعائر والطقوس، وكان فيها ساسة يحسنون قيادتها ويسدّدون خطاها، وكان فيها سوفسطائيون يشككون الناس ويوقظونهم من غاشية التقليد والجمود ويعلمونهم الخطابة وأساليب البيان. لقد كان فيها كل هؤلاء عندما جاء سقراط.

ولد سقراط في أثينا عام 469 ق.م من أب يُدعى سوفرويسكوس ويعمل نحاتاً، وأم تُدعى فايناريت وتعمل قابلة، ولضيق ذات اليد لم يستطع سقراط أن يكمل تعليمه وأخرجه والده من المدرسة وهو ما يزال بعد في حوالي الثالثة عشر من عمره، ولكن الصبي لم يضق ذرعاً فلم يتَّهم والده بالتقصير ولم ينهال على والدته سباً، بل قال إن ما تعلمته من المدرسين يكفيني ولن أنساه أمّا ما سأتعلمه من الحياة ورجال المدينة فهو ما سيجعلني رجلاً صالحاً حقاً.[49].

وخرج الصبي إلى الحياة حيث حاول بعد ذلك أن يتعلّم صنعة الأب فذهب إلى مرسمه وبهرته مهارة والده في ضرب الحجر وإخراج التماثيل في أبهى صورة فسأله: كيف يا أبي تستطيع تقدير مدى العمق الذي تشُق إليه الحجر وهو بهذه الصلابة لتظهر ملامح الأسد بهذه الدقة؟ فأجابه والده: يا بني أنني لا أفعل شيئاً أكثر من أنني أُجيد تصور الأسد داخل الحجر وأتصور أنه سجين وعليَّ أن أطلق صراحه، ولكن سقراط لم يفهم آنذاك ماذا يقصد والده بهذه الإجابة الغامضة لكنه تذكر ما قالته له أمه حينما سألها ذات يوم عن كيف تجيد توليد السيدات الحوامل وعن سرّ مهارتها في هذه الصنعة، فقد قالت شيئاً قريباً مما قاله والده، حيث أجابت: أنني يا بني لا أفعل شيئاً أكثر من أنني أحاول مساعدة الطفل على الانطلاق من رحم أُمه !! وكان هذا هو الدرس العظيم الذي حَفِظه وَوَعاه عن والديه فيما بعد.[50].

كان سقراط قبيح المنظر، فهو قصير بدين دميم، بارز العين، كبير الأنف في قبح، واسع الفم، بالي الثياب، وأراد الله أن يكون هذا الشكل الممقوت مُستقراً لنفس قوية جميلة ذكية، فقد

[49] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص73.

[50] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص73.

كان عادلاً حتى لا يـؤْثَر عنه أنه ظلم أحداً، حكيماً حتى قَلَ أن يُخطئ في حكمه على شيء بأنه حق أو باطل. وكان ضابطاً لنفسه إلى حد يستدعي الإعجاب، راضَها حتى أصبحت طوع إرادته، وحتى كان دخله القليل يكفي كل حاجاته، وكانت مواهبه العقلية لا تختلف عن مواهبه الأخلاقية، فهو مفكر دقيق الملاحظة، وعلى كثرة ما حباه الله من مواهب العقل كان يُعلن أنه لا يعرف شيئاً، وليس حكيماً ولكنه فيلسوف 'محب للحكمة'، فكثيراً ما قال: 'أنا أعرفُ شيئاً واحداً وهو أني لا أعرفُ شيئاً'.

"ارتفع بسقراط مجده الناجم عن عبقريته وصفاء نفسه إلى أسمى آواج الحياة الأثيننية وجرف أمامه كل التقاليد، وفوق ذلك فقد انتصرت الديمقراطية في عهده وهزمت أمامها الأرستقراطية القاسية التي لم تكن تبيح لابن مثال وقابلة أن يرقى لأحد مناصب مجلس الشيوخ الذي كان فيما مضى لا يسمو إلى عتباته إلا كل عريق المولد في نظر هذا الشعب الممتاز، لكن سقراط لم يغتر بمنصبه في مجلس الشيوخ فلم يضع قدمه في قاعة المجلس حتى أخذ يهاجم ما يراه سيئاً من عادات أثينا وتقاليدها وتشريعاتها، فكانت هذه الجرأة الفائقة من جانبه علة القضاء على حياته إذ لم يكد يظهر بهذه الآراء حتى عدّه الناس عدواً لدوداً لدساتير بلاده وقوانينها واعتبروه متهجماً على طقوسها وأساليب الحياة فيها وأدرجوه ضمن قائمة الثارين الذين لا همّ لهم إلا معاداة الأنظمة المقررة.

وأخيراً أعلن أن القوتين: التشريعية والتنفيذية يجب أن تكونا في أيدي أعقل رجال الدولة وأكثرهم حكمة، لا في أيدي أولئك الذين رفعتهم الظروف الهوجاء إلى ما لا يستحقون من المناصب فلم يكد يُذيع هذه الآراء الخطرة حتى حقد عليه الجميع ودفع زعماء الديمقراطية ثلاثة رجال إلى اتهامه رسمياً بأن سب الآلهة وأهان دين الدولة وقال بإله جديد وأفسد الشباب. فتكاثفت هذه العوامل لمحاكمته.[51].

إن محاكمة سقراط وإدانته ثم إعدامه لهي جد من أفجع بل وأروع القصص في العالم تتبدى تفاصيل هذه المحاكمة ودفاعه والمدة التي قضاها في السجن بين المحاكمة والإعدام

[51] – رمزي نجار ، الفلسفة العربية عبر التاريخ ، دار الأفاق الجديدة ،ط2 ، بيروت ، 1979 ، ص 21.

في ثلاث محاورات لأفلاطون هي: الدفاع واقريطون وفيدون، فقد وجَّه ثلاثة أشخاص بعض الاتهامات لسقراط أمام القضاء وهؤلاء كانوا: انيتوس أحد رؤوس الصناعة وزعماء الديمقراطية، وملیتوس شاعر شاب خامل، وليقون خطيب لا بأس به، والشكوى قد رفعها ملیتوس ونصها ما يلي:

إن سقراط مُتـَّهم بإنكار الآلهة القومية (آلهة المدينة) ومحاولة إدخال عقائد جديدة، وإفساد عقول الشباب، وعقوبة هذه الجرائم هي الإعدام". وقد بدئ في هذه المحاكمة على عجل فعين ذوو الشأن القضاة الذين سيحاكمونه، فنصح له فريق من أصدقائه أن يتصل بهؤلاء القضاة، ليفهمهم وجهة نظره، فضحك سخرية من هؤلاء الناصحين وصرّح بأنه أرفع من أن يهين نفسه بالتزلف إلى هؤلاء الأشخاص الذين هم في نظره غير جديرين باكتراثه لأنهم من خصوم الفضيلة.

ويبدو أن سقراط قد "أغضب الأثينيين ولاسيما القضاة، لعدم اكتراثه قط بدعوى خصومه الثلاثة أو بقرار المحكمة التي حكمت عليه بنسبة 281 ضد 220 صوتاً باختيار واحد من ثلاثة: الرحيل عن أثينا أو دفع الغرامة أو شرب السم ،وبلغ من سخريته حدّ الذهاب إلى أنه في اختياره طريق الحوار وتنوير أذهان تلامذته إنما كان يسدي لبني قومه أعظم خدمة، وعوضاً عن الحكم عليه بالموت كان يستحق العيش على حساب الخزينة أكثر من أي فائز في الألعاب الأولمبية، وقال مخاطباً متهميه: 'عوضاً عن أن أدافع عن نفسي، كما قد تفترضون، فأنا أدافع عنكم لأنقذكم، من مغبة التفريط بنعمة الله عليكم حين تقضون عليَّ، ويصف نفسه في هذا المقام بالنُّعَرَة التي تلحق بالفرس لتحثها على الحركة كلما تقاعست عن الركض، وأن الله قد نصَّبه بصورة خاصة ليحُثّ الأثينيين على التنكّب عن الخمول وطلب الملذات والمكاسب، وأنهم إذا قضوا عليه، فلن يستطيعوا العثور على من يحل محله.[52].

وكانت أخرى كلماته التي نطق بها أمام القضاة العبارة الآتية: 'لقد حان الوقت الذي نفترق فيه: أنا إلى الموت، وأنتم إلى الحياة. فأيُّنا صاحب الحظ الأفضل؟ لا أحد يعلم ذلك إلا

[52] – جعفر آل ياسين ، فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط ، مرجع سابق ، ص153.

الإله'، وقد قص علينا أفلاطون كيف رفض الهروب من السجن في شمم وإباء حين هيأه له أحد تلاميذه المخلصين قبيل موته، لأنه اعتبر هذا الهروب رذيلة فضلاً عن كونه خروجاً عن قوانين البلاد. ولما حان أوان شرب السم تناول الكوب والبسمة لا تفارق ثغره، وفارق الحياة بعد محاورة شيقة دارت بينه وبين أحد تلاميذه في شأن خلود الروح.

لم يكن سقراط صاحب مدرسة يجتمع التلاميذ بين جدرانها ويتدارسون العلوم ولم يكن له حتى مكان محدد يتواعد فيه على الاجتماع بتلاميذه بل كان يجتمع بالناس في أي مكان: في السوق أو الملعب أو الشارع أو عند أحد الأصدقاء فيناقش الحاضرين ويحاورهم إلى أن يفنّد معتقداتهم الخاطئة ويقودهم بمنطق مسلسل دقيق إلى اكتشاف الحقيقة من ذات أنفسهم.[53].

*** المنهج السقراطي:**

– المنهج الأول: "كان سقراط يستخدم هذا المنهج مع تلاميذه والخالي الذهن فحسب، فيتدرج بهم من المحسوس إلى المعقول، ومن بسائط الأشياء المادية إلى معقدات النظريات الفلسفية، ليهديهم عن طريق الإقناع إلى معرفة أنفسهم بأنفسهم، وبالتالي إلى ما يجب أن يهتدوا إليه من حقائق واعتقادات، ومن أمثلة هذا المنهج الذي كان يسلكه لهداية أصدقائه وتلاميذه إلى الحق والخير:

سأل يوما 'سقراط ' اكزينوفون: أتعرف أين يباع الخبز؟

اكزينوفون يباع في مكان كذا.

سقراط وأتعرف أين يباع اللحم؟

اكزينوفون: في مكان كذا.

سقراط: وهل تعرف أين تباع الأقمشة والأحذية؟

اكزينوفون: إنها تباع في السوق.

سقراط: وهل تعرف مصدر الفضيلة أو الخير المطلق؟

اكزينوفون: كلا.

---

[53] – جعفر آل ياسين ، فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط ، مرجع سابق ، ص154.

سقراط: أليس من العار أن تعرف مصدر الخبز واللحم والأقمشة والأحذية وتجهل مصدر الفضيلة مع أنها الميزة الوحيدة بين الإنسان والحيوان.

– المنهج الثاني: أو السخرية:"أما المنهج الثاني فهو الخاص بخصومه في الرأي وأعدائه في الفكرة وكان يقسمه إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى سلبية: وفيها يجاري خصمه في ضلاله ويغريه بلينه ومجاراته إياه حتى يهوي به إلى حضيض التناقض أو الخطأ، فإذا أوصله إلى هذا الحضيض تمسك عليه بما سقط فيه، وأخذ يتهكم به ويُبدي للناس خطأه وتناقضه حتى يحنقه عليه ويثير ثائره ويخرجه عن طوره، فتزيد حجته ضعفاً ويكثر منطقه اضطراباً وتناقضاً، وحين ذاك لا يسعه إلا التسليم بما يقول. وعندئذ يعد 'سقراط' نفسه قد نجح في انتزاع الأباطيل من نفس خصمه، وهو لهذا يقول 'إن السخرية هي التي تخلصنا من الخطأ وتعد عقولنا لقبول المعرفة، وإنها هي أمضى سلاح للقضاء على الأباطيل والأضاليل، فإذا نال بغيته من السخرية بدأت المرحلة الثانية التي تتناول موضوع المسألة المنشورة بينهما على بساط البحث.

إن سقراط يريد إشعار الخصم المستعلي بالجهل والفراغ، وهذا الشعور كما يحلله سقراط يرمي إلى تحقيق نتائج مثمرة لا إلى مجرد التشفي والانتقام .

المرحلة الثانية إيجابية وتتمثل في ملء النفس بالمعارف، يصطلح عليها "منهج التوليد: "يعتقد سقراط أنه إذا كان الإنسان غير مُدرك للعلم الصحيح فإن فيه مع ذلك حقائق كامنة يستطيع الإنسان أن يستخلصها من نفوس الآخرين، فهي حقائق لا يدري الإنسان بها ولكنها على كل حال كامنة في نفسه، ووسيلة استخراجها منه هي الحوار.

ومن جهة أخرى يمكن أن يطلق على هذا المنهج القائم على التهكم والتوليد اسم الجدل لأن استخراج الأفكار من النفوس ومحاولة توضيحها بالمناقشة والحوار الثنائي هو ما يعرف بالديالكتيك أو الجدل. والحقيقة سواء عند سقراط أو أفلاطون هي فكرة والفكرة لا يمكن أن تتضح إلا بالجدل.

"الطريقة السقراطية في التفلسف تقوم على أساس فردي، بمعنى أن سقراط كان يعتبر أن الحوار هو الطريقة المثلى للوصول إلى الحقيقة ولكن الحوار لا يتم إلا بين فردين، واقتناع كل منهما بالنتيجة التي اتفقا عليها، أي بالحقيقة وهي أمر شخصي. وهذه السمة تميز المنهج السقراطي عن منهج الطبيعيين، الذي كان قائماً في الغالب على الكتابة، في حين أن الطريقة السقراطية تقوم على الاتصال المباشر بين النفوس، وعن منهج السفسطائية القائم على إعطاء دروس لأي عدد، دروس يتلقاها المستمع وليس للحوار دور هام فيها، إلا لاستيضاح شيء ما. والحوار السقراطي يقوم على افتراض هام ذي شقين، هو أن الحقيقة موجودة، وأن المعرفة ممكنة.[54].

نظرية المعرفة من وجه نظر سقراط:

إن أهم شيء أتى به سقراط هو المنهج، حتى لَيعتقد البعض أن سقراط لم يكن صاحب مذهب معين وإنما هو صاحب منهج، وربما كان الأصح أن يقال أن مذهبه وليد منهجه. لقد كان منهجه الحوار الاستنباطي القائم على التهكم والتوليد من أجل تحديد الماهيات، ولهذا يعزو إليه أرسطو أنه صاحب الحد الكلي ومنهج الاستقراء، أو ما يُسمى فلسفته التصورية ومعناها أنه لا يكفي لمعرفة شيء ما الاقتصار على وجوده المحسوس، بل لابد من معرفة ماهيته المعقولة وَالوصول إلى حَدِّهِ الكلي، فالمعرفة بالجزئيات إنما هي معرفة ناقصة لا تُغني من الحق شيئاً، أما الذي يغني حقاً فهو المعنى الكلي والمعرفة الكلية، فالمعنى الكلي هو الأصل وبدونه لا تكون معرفة حقيقية، هذا هو مذهب سقراط في المعرفة وهذه هي فلسفته، فالمعرفة الحقيقية هي معرفة الماهيات، والعلم يجب أن يقوم على إدراك واضح للماهيات، وهكذا يكون سقراط قد نقل مركز الثقل في المعرفة من معرفة الأشياء والجزئيات إلى معرفة الماهيات والكليات.

ومعنى هذا أن العقل هو سبيل المعرفة لا الحس، فإن الحواس تختلف باختلاف الأفراد بل باختلاف الحالات في الفرد الواحد، وأما العقل –وبتعبير أدق، معاييره الثابتة– فهو عام في

[54] – عبد الرحمان مرحبا، من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية ، مرجع سابق ، ص103.

الناس جميعاً، فلا يكفي لمعرفة شيء ما أن نقتصر على وجوده الجزئي المحسوس المتغير، بل يجب أن نصل إلى معرفة وجوده العقلي الثابت، أي إلى ماهيته في ذاتها، أو إلى حدّه الكلي. ذلك أن العقل ينتزع من أوصاف الجزئيات وعوارضها المحسوسة – بالاستقراء والتحليل والمقابلة والمقارنة والديالكتيك– الاعتبارات أو المعاني الكلية الثابتة فيها، كالمبادئ والنواميس وصور الأنواع وحدود الأشياء وماهيات الفضائل. ولما كان هذا الاعتبار العقلي العام جامعاً للخصائص الثابتة في كل نوع من الموجودات أو في كل فرد من أفراد ذلك النوع، صحّ أن يكون تعريفاً لها وغدا –بالتالي– مقياساً دقيقاً لحقيقتها. وبعبارة أخرى، أن الماهية ثابتة في الموجودات ومن الممكن التوصل إليها بالحد (أو التعريف) الذي هو مجموع الخصائص الذاتية للشيء المعرَّف. وإذا كانت ماهية الشيء هي هي لا تتغير، فحقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق. وبذلك يكون سقراط بحق هو واضع فلسفة المعاني أو الكليات، والمؤسس الحقيقي للعلم.[55].

الأخلاق عند سقراط:

جاء مذهب سقراط في الأخلاق رجعاً لموقف السوفسطائية منها، وكان كلاهما امتداداً لموقفهما من نظرية المعرفة، فقد اعتبرت السوفسطائية الفرد مقياس الأشياء جميعاً، فأصبحت الحقائق وليدة الإحساسات والانطباعات الذاتية، وبطل القول بوجود حقيقة موضوعية مستقلة عن الفرد وظروفه، وتعددت الحقائق تبعاً لتعدد مدركيها والحالات التي تطرأ عليهم، ومتى امتنع القول بوجود حق في ذاته أو باطل في ذاته، أمكن أن يَصدقَ النقيضان وأن يمتنع الخطأ.

ثم مدّ السوفسطائية نطاق نظريتهم الابستمولوجية حتى شملت الأخلاق (والسياسة) فأصبح الفرد مقياس الخير والشر كما كان عندهم مقياس الصواب والخطأ، وإذا كانت الحقائق في مجال المعرفة نسبية متغيرة، وليست مطلقة ثابتة، كانت القيم والمبادئ في مجال الأخلاق

[55] – يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ،ص 75.

نسبية تتغير بتغير الزمان والمكان، وتختلف باختلاف الظروف والأحوال، وإذا أدت بنا هذه الحال إلى نوع من الفوضى، اقتضتنا الحكمة أن نؤثر في مجال العمل ما يبدو لنا نافعاً.

وقد كان على سقراط لكي يقيم بناء الأخلاق الذي تداعى على يدهم، أن يهدم نظريتهم في المعرفة أولاً، ففصل بين موضوع العقل وموضوع الحس، وحرص على تحليل الألفاظ لتحديد معانيها وإيضاح دلالاتها، ففوّت على السوفسطائية الاعتماد على اشتراك الألفاظ وغموض معانيها، وصرّح أن ما يبدو للحواس من الأشياء هو أعراضها المحسوسة، ولكن وراء هذه الأعراض تقوم حقيقتها أو ماهيتها، وهي لا تدرك إلا عن طريق العقل الذي يستعين في إدراك الماهيات باستقراء الجزئيات، فانتهى بهذا إلى الحقائق الثابتة المطلقة في مجال المعرفة، وكان منشئ فلسفة المعاني أو الماهيات التي تمثلت بعده عند أفلاطون وأرسطو.

فإذا كانت الموجودات الذهنية هي الموجودات الحقيقية، وإذا كان الوجود العقلي أسمى من الوجود الحسي، فالحياة الحقيقية إنما هي الحياة التي تستضيء بنور العقل وتهتدي بهداه، وبالتالي فالسلوك الخلقي إنما هو ذلك السلوك الذي يعتمد على المعرفة والتفكير، وهكذا فالفضيلة تتضمن معنى العلم والعلم ينطوي على الفضيلة. ومعنى هذا أن الأخلاق عند سقراط من حيز العقل لا من حيز الدين أو التقاليد، فلكي نتحقق بالأخلاق الفاضلة يجب أن تحقق بالعلم والمعرفة، ولا بد لمن كان دأبه العلم والمعرفة أن يكون ذا أخلاق فاضلة. فهناك إذن وحدة بين العلم والفضيلة. هذا هو جوهر الأخلاق السقراطية.[56].

ومما سبق يمكن أن نستنتج مايلي:

– ان قيمة سقراط في الفلسفة تتصل بمنهجه، كما أن قيمته في الحضارة الإغريقية تتصل بشخصيته، فقد كان معلم الإغريق في مرحلة الفكر والنضج، كما كان هوميروس معلمها في مرحلة الأسطورة.

[56] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص 76.

– كان سقراط هو الفيلسوف الذي وجّه الفلسفة إلى الإنسان بدلا من أن تظل شاخصة نحو الطبيعة لأنه هو الذي أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض وجعلها تسير في الأزقة والحواري.

– فلسفة سقراط تدور حول مركزين:

– نظرية المعرفة التي تحصر العلم في الإدراكات العقلية والمعاني الكلية، دون الإدراكات الحسية والمعاني الجزئية،

– ونظرية الأخلاق التي توحد بين الفضيلة والعلم. والأولى أبعد خطراً، وأعمق أثراً في مجرى تاريخ الفلسفة أقرب إلى الثورة منه إلى التطور البطيء، فهي المعين الذي استقى منه فيما بعد أفلاطون فأرسطو، وهي الأساس الذي نشأت عليه كل المذاهب العقلية المثالية.

أصلح سقراط بنظرية المعرفة كل ما أفسده السوفسطائيون فردَّ إلى الناس إيماناً بالحقائق الخارجية بعدما اعتراهم الشك فيها، فلم يعد بالفكر إلى حالته الأولى قبل السوفسطائيين بل سار به خطوة واسعة نحو الأمام تقوم على أساس الإدراك العقلي لا على التصديق الساذج.

المحاضرة الثامنة : مدرسة أفلاطون

عناصر المحاضرة

تمهيد

المعرفة عند أفلاطون

الفلسفة عند أفلاطون

الفضيلة عند أفلاطون

تمهيد :

ولد أفلاطون في أثينا في اليونان ، في العام التالي لوفاة رجل الدولة الأثيني العظيم بريكليس ، وكانت عائلة أفلاطون أرستقراطية ، ومتميزة وقد ادعى أن نسبه من جانب والده أتى من الإله بوسيدون ، ولا يُعرف الكثير عن سنوات افلاطون الأولى ، ومعرفة افلاطون بسقراط غيرت مجرى حياته بالكامل ، وتحدث افلاطون أيضًا عن فلسفة العقل ، والتي كانت عبارة عن طريقة عقلانية ، ومن خلال هذه الطريقة نظر افلاطون إلى الكثير من الأشياء التي تحدثت عن المنطق ، أو الأخلاق ، ولكنه لم يكن على يقين أن هذه الأشياء صحيحة أم خاطئة ، وتوفي أفلاطون عام 347 قبل الميلاد ، واجتذب نظام افلاطون العديد من الأتباع في القرون التي تلت ، وفاته وعاد نظامه إلى الظهور على شكل الأفلاطونية الحديثة المنافس الأكبر للمسيحية المبكرة.

المعرفة عند أفلاطون

تميزت عقلانية أفلاطون عن غيره من المفكرين القدامى مثل هيراقليطس حيث أن افلاطون رفض العالم المادي المتغير باستمرار كمصدر للمعرفة ، وقد اقترح افلاطون أن المعرفة يمكن العثور عليها في عالم متسامي من الأشكال ، ومع ذلك ، لا تقدم الأشكال نظرية مقنعة للمعرفة ، وبدلاً من ذلك ، نجد أن وصف أرسطو للمعرفة المكتسبة من خلال التجربة هو أكثر إقناعًا ، ودعمًا ، وطالب أرسطو بحل هذه المشكلات من خلال نهج تجريبي ، بدلاً من عالم النماذج الغامض لأفلاطون .

واعتمد منهج افلاطون على الحكمة ، وهنا الحكمة هي القدرة على تمييز أفضل ما لدينا من خير ، والعمل الصحيح في كل لحظة ، وتكون الحكمة الفلسفية هذه مرتبطة بالتعاليم القديمة والمعلمين ، والحكمة في الفلسفة تعني الحقيقة ، والشخص الحكيم ليس لديه ما يثبته ، ولا شيء يخسره ، ومنهج افلاطون اعتمد على العدل أيضًا ، والعدل كان عبارة عن القدرة على الإنصاف ، واحترام حقوق الآخرين ومنحهم حقهم ، والعدل يعلم الأخلاق ، ويرتبط بحقوق الإنسان الأساسية ، وهو أساس المساواة ، واحترام الاختلافات[57].

وفي النهاية يمكننا جميعًا أن نسعى جاهدين لتحقيق التميز البشري ، واستخدام فضائل أفلاطون الأساسية كخريطة لرحلة الحياة من حولنا عندما نشعر بالفشل ، وعندما لا نستطيع الاستمرار ، نحتاج إلى الاعتماد على شجاعتنا ، ونحن في حاجة ماسة إلى الشجاعة في أحلك الأوقات ، وفي هذه الأوقات يجب التوقف مؤقتًا والشعور بالامتنان ، وممارسة العدالة التي تجلب ، وضوحًا كبيرًا في العلاقات ، والمواقف المعقدة وكل هذه الخطوات تسمح للآخرين أن يعيشوا حياتهم الخاصة ، وتجعلهم يقدمون التعاطف ، ويتحمل المسؤولية الكاملة عن حياته واحتياجاته ، وهذه العلاقات والمواقف تقوي علاقتنا مع أنفسنا ، وتعمل على تنمية الحكمة ، وبمجرد أن نثق في حكمتنا ، لدينا كل ما نحتاجه .

الفلسفة عند أفلاطون:

فلسفة افلاطون فلسفة مثالية موضوعية ترى أن الموجودات كلها صور تحاكي مُثلا علوية كاملة ثابتة خالدة , وأعلى تلك المثل : الحق والخير والجمال .

والمثل عند افلاطون صور عقلية روحانية مجردة لا تفسد ولا تتغير وتوجد في عالم الآلهة وبما أنها صور عقلية روحية فالذي يقابلها هو الواقع المكون من الصور الجسمانية المادية المتغيرة والفاسدة فهذه ظلال لتلك , والمثل تتدرج حتى تصل إلى المثال الاعلى وهو مثال الخير الذي هو أساس كل شيء ولم يفصح افلاطون إن كان يقصد به الله أو لا .

أما نظريته في النفس فأفلاطون يعدها من عالم المثل على الضد من البدن الذي يعده من

[57] – أحمد فؤاد الأهواني ، أفلاطون ، نوبغ الفكر الغربي، ط4 ، دار المعارف ، القاهرة ، ص9.

عالم الظلال لذلك فالنفس موجودة قبل البدن وهي جوهر علوي هبطت من عالمها لتسجن في البدن دون أن نعلم سبب هبوطها لكنها تسعى إلى الصعود والعودة مرة أخرى الى عالمها عن طريق تأمله فالتأمل هو طريقها الوحيد للصعود لكنها تعيش في صراع دائم مع البدن الذي لا يتيح لها الصعود بظلالاته .

وللنفس ثلاث قوى هي الشهوانية ومركزها البطن وهي مسؤولة عن الوظائف الغذائية والجنسية وتسعى إلى تحقيق فضيلتها التي تتمثل بالعفة , والقوة الثانية هي الغضبية ومركزها الصدر وتسعى للوصول إلى فضيلتها التي تتمثل بالشجاعة , والقوة الثالثة هي العاقلة ومركزها الدماغ ومهمتها ادراك الحقيقة وفضيلتها الحكمة .

وافلاطون يؤمن بتناسخ الأرواح تأثرا بالفيثاغوريين لكن هذا التناسخ يشمل النفوس غير الصالحة التي تظل تتنقل من جسد الى جسد نتيجة تعلقها بالواقع أما النفوس الصالحة فتعود الى عالم المثل لتسعد برفقة الآلهة هناك .

ويرى إفلاطون أن النفس لا تخلد بقواها الثلاثة المتقدمة إنما الخلود للنفس العاقلة فقط لأن طبيعتها غير جسمية بدليل أنها غير مركبة وبسيطة وتدرك العالم عن طريق التذكر وتدرك المثل فهي مثلها .

أما نظريته في المعرفة فأن افلاطون ينتقد الآراء التي سبقته , ينتقد الطبيعيين والحسيين (هيرقليطس مثلا) الذين قالوا بأن المعرفة اكتساب حسي لأن هذا الرأي ينكر المعرفة الثابتة ولا يميز بين المعرفة الانسانية والمعرفة الحيوانية , وكذلك ينتقد رأي بارمينس الذي أكد على أن المعرفة عقلية فقط لأن هذا الرأي يؤدي الى إنكار المادة والكثرة والحركة والتغيير ويرى بأن الوجود واحد وهو رأي متناقض وينتقد كذلك السفسطائيين الذين قالوا أن المعرفة اكتساب من الغير إذ يؤدي هذا القول إلى التساؤل من أين أتى الغير بالمعرفة ؟ .

لذا يرى افلاطون أن الوجود أما حسي مادي غير جدير بالتأمل لأنه متغير فاسد لذا فهو موضوع المعرفة الحسيّة المتغيرة مثله , وأما وجود معقول سماوي علوي ثابت وهو موضوع المعرفة العقلية فالمعرفة الحقيقية هي تأمل المثل ومحاولة معرفتها عن طريق العقل أما

الاحساس فلا يمكنه ذلك فالمعرفة تذكر المثل والجهل نسيانها ويبدو أن افلاطون يقضي بأن الإنسان يعيش جهلا ملازما لأنه في عالم مستنسخ غير حقيقي , عالم يحاكي عالم الحقيقة ويضرب مثالا على ذلك بأسطورة الكهف الذي يعيش فيه مجموعة من الأفراد وتدخله حزمة من الضوء من خلال كوة صغيرة تعكس صور المارة خارج الكهف فهؤلاء لا يعرفون غير هذه الصور أما حقيقة المارة فلا يوجد أي معرفة عنهم .[58]

وللتعقل عند افلاطون طريقين : الأول يبدأ من المحسوس ثم يصعد إلى المعقول أو المثال ويسميه افلاطون بالجدل الصاعد والثاني يبدأ من الموجودات الكلية أو من المثل ثم ينزل إلى الأدنى ويسميه بالجدل النازل , والمعرفة عامة تبدأ بالإحساس ثم الظن ثم الاستدلال ثم التعقل وهو التجريد .

وتتصف المثل عند افلاطون بالكلية والثبات والقدم والتجرد عن المادة والخيرية ولا تدرك الا بالعقل وهي بسيطة لا تتجزأ وباقية دائما وهي مطلقة أيضا أما ما يحاكيها من عالم المحسوس فتتصف بأضداد تلك الصفات أي بالجزئية والتغير والفساد والمادية وهي عالم الشر و لا تدرك إلا بالحواس وهي مركبة وزائلة وهي كلها من جوهر الجسد , ويرى افلاطون أن لكل نوع من الموجودات مثال ولكل نوع من المثل مثال آخر وهكذا تتصاعد المثل بشكل هرمي حتى نصل إلى مثال الخير والحق و الجمال . [59].

والعلاقة بين المثل وعالم الحس تتمثل في أن عالم الحس صورة مشوهة عن عالم المثال إذ هناك عدة وسائط بين عالم المثال وعالم الحس , أول هذه الوسائط هو الصانع وهو عقل كلي منح العالم المادي النفس الكلية التي تعتبر الوسيط الثاني وهي قوة محركة للمادة حركة دائرية التي تعد الوسيط الثالث و تتكون من خلالها الجزئيات التي تحاكي المثاليات .

ونظرية الأخلاق عند افلاطون تتمثل في تأكيده على أن غاية الأخلاق تحصيل السعادة

---

[58] – أفلاطون ، المحاورات الكاملة ، المجلد الأول ، ترجمة شوقي داود ، دار الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1994 ، ص23.

[59] – سليمان الظاهر، فلسفة الموجود عند أفلاطون ، مجلة جامعة دمشق ، مجلد1 ، ع4 ، 2005، ص251.

الحقيقية , والسعادة عنده تتمثل في الحصول على ما ينسجم مع الطبيعة البشرية ولا تتم السعادة الا بالفضيلة والديمومة والنظام

الفضيلة عند أفلاطون:

والفضيلة عنده نظام وتوزان وانسجام بين قوى النفس , وهي ثلاثة أنواع أ- العفة وغايتها تنظيم القوى الشهوية .

ب- الشجاعة وغايتها تنظيم القوى الغضبية ,

ج- الحكمة التي تصدر عن العقل وهي مبدأ النظام , فالجاهل من لا حكمة له أي لا فضيلة له بخلاف العالِم الذي يتميز بالحكمة دائما .

ونظرية السياسة عند افلاطون تهدف إلى انشاء مدينة فاضلة تسعى لتحقيق العدالة للفرد والجماعة ليس فيها ظلم فالمجتمع يتكون من طبقة العمال الذين تسيرهم غرائزهم وطبقة المقاتلين الذين يتصفون بالشجاعة وطبقة الحكام الذين يتصفون بالحكمة , ولابد للدولة أن يحكمها الحكام الفلاسفة لكي تتحقق العدالة وبخلاف ذلك يتلاشى العدل وتزول الدولة , ويضع افلاطون صفات للحاكم الفيلسوف فيرى أنه لابد أن يكون محبا للحقيقة والصدق والقناعة والجمال والموسيقى عادلاً سريع الخاطر كارهاً للكذب وللملذات الجسدية والمال والجاه , وللمدينة الفاضلة أضداد منها مدينة الكرامة حين يسيطر على الدولة أولئك الجنود مثل دولة اسبارطة , ومدينة المال التي يحكمها الاغنياء , والمدينة الديمقراطية التي يحكمها الشعب وتتسم بالفوضى واللصوصية , ومدينة الاستبداد التي يسيطر فيها رجل واحد ويقضي على الآخرين .

وبناء الدولة الفاضلة يتم وفق برنامج صارم وخطواته :

1- اختيار الأطفال أصحاب الاستعداد الحربي وتعليمهم الآداب والفنون حتى يبلغوا الثامنة عشرة .

2- تعليمهم الرياضة البدنية والتدريبات العسكرية حتى يبلغوا العشرين .

3- تعليمهم الحساب والهندسة والفلك والموسيقى حتى يبلغوا الثلاثين .

4- اختيار المتفوقين منهم لتعليمهم الفلسفة لمدة خمس سنوات .

5- توليتهم وظائف عامة حتى يبلغوا الخمسين .

6- اختيار المتفوقين منهم في النظر والعمل ليكونوا حكاماً , أما الذين لم يتفوقوا فيكونوا حراسا , فالمدينة بحسب هذا البرنامج تتكون من ثلاث طبقات : طبقة الحكام الفلاسفة , وطبقة الحراس , وطبقة العمال , ولا يحق لطبقتي الحكام والحراس التملك من مال أو عقار فهم يعيشون حياة مشاعيّة فيما بينهم على الضد من طبقة العمال الذين يحق لهم بشرط أن لا يصلوا إلى الثراء .[60]

[60] – أفلاطون ، الجمهورية ، الكتاب الرابع ، تحقيق فؤاد زكريا، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ط4 ، 1985، ص229.

المحاضرة التاسعة : مدرسة أرسطو

عناصر المحاضرة

تمهيد

فلسفة الأخلاق عند أرسطو

فلسفة أرسطو السياسية

المنطق عند أرسطو

فلسفة أرسطو

تمهيد :

يعد أرسطو فيلسوفا موسوعيا شاملا ، وكانت فلسفته تنفتح على كل ضروب المعرفة والبحث العلمي، إذ يبحث في الطبيعة والميتافيزيقا والنفس وعلم الحياة والسياسة والشعر وفن الخطابة والمسرح. وقد وضع المنطق الصوري الذي كان له تأثير كبير على كثير من الفلاسفة إلى أن حل محله المنطق الرمزي مع برتراند راسل ووايتهاد.

فلسفة الأخلاق عند أرسطو

لن تُعتبر أخلاقيات الفضيلة لأرسطو بالضرورة "صحيحة" لأن الفلاسفة حتى يومنا هذا ما زالوا يتجادلون حول النظرية الأخلاقية الصحيحة، لكن أخلاق الفضيلة لأرسطو لا تزال مؤثرة للغاية. حيث مازال الكثير من علماء الأخلاق يؤيدون أخلاقيات أرسطو.

ربما تكون الادعاءات الأخلاقية لأرسطو هي الأكثر صلةً به اليوم. حيث طور نظاماً أخلاقياً يسمى أخلاق الفضيلة، والذي يدعي أساساً أن تنمية الفضائل الإنسانية داخل الذات هي مفتاح السلوك الأخلاقي، وبدلاً من محاولة وضع مبادئ توجيهية وقواعد لتحديد الإجراء الصحيح، اعتقد أرسطو أنه إذا ركزنا على أن نصبح أشخاصاً صالحين، فسنقوم بأشياء جيدة من خلال العادة، وهي فكرة بارعة إلى حد ما. حيث يمكننا أن نصبح أشخاصاً صالحين من خلال التصرف وفقاً للعديد من الفضائل التي حددها أرسطو على أمل خلق عادة . [61]

[61] – مصطفى النشار فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة ، دار الثقافة العربية ، دط ، 2006، ص7

فلقد كان يعتقد أن كل فضيلة – مثل الصدق على سبيل المثال – موجودة في الوسط بين رذيلتين. نقص الأمانة خيانة الأمانة، وتجاوزها صراحة. وبالتالي، فقد اعتقد أنه يجب علينا أن نتعود على قول الحقيقة تماماً بقدر ما هو ضروري حتى نكون صادقين، وأن بإمكاننا توسيع منطق الوسط الذهبي بين رذيلتين، لكل فضيلة. وبمجرد اعتيادنا على التصرف بالقدر المناسب من كل فضيلة – من الناحية النظرية – لم يعد علينا القلق بشأن التفكير في الشيء الصحيح الذي يجب القيام به، لأننا سنكون ميالين للقيام بذلك من خلال العادة. وعندما نصبح فاضلين، سوف نتصرف بشكل أخلاقي، ونحقق ما أسماه أرسطو حياة سعيدة ومكتملة.[62]

فلسفة أرسطو السياسية

كان أرسطو يعتبر أن الإنسان بطبيعته ما هو إلا "حيوان سياسي".

فبغير وجود المجتمع من حولنا لن نكون بشراً بالمعني الحقيقي، كما أشار إلى أن للأسرة والعائلة دوراً شديد الأهمية سواء في التعاون أو تربية النشء إلا أن الاجتماع البشري الحقيقي لا تجسده سوى الدولة، ومن هنا أثار السؤال الهام ألا وهو: كيف يكون نظام الحكم؟ وضع أرسطو ثلاثة أشكال صالحة من أشكال الحكم، أولهم هي الملكية، وهو شكل من أشكال الحكم يقوم على أساس وجود حاكم واحد للدولة لكن بشرط ألا يجنح هذا الحاكم إلى ممارسة الطغيان عن طريق السعي وراء مصلحته الشخصية حتى يكون هذا الشكل من أشكال الحكم صالحاً.

أما الشكل الثاني فهو الارستقراطية، وهو عبارة عن وضع الحكم بأيدي مجموعة صغيرة لكن بشرط ألا يتحول هذا الحكم إلى استبداد من خلال سعي هذه الفئة إلى تحقيق مصالحها . والشكل الثالث والأخير هو الديمقراطية، وربما كان لهذا الشكل أيضاً جانباً سلبياً وهو التحول إلى حكم الغوغاء[63].

علم المنطق

---

[62] – عبد العالي عبد الرحمان ، الانسان لدى فلاسفة اليونان في العصر الهليني ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ط1 ، 2005 ، ص198.

[63] – تايلور ، الفلسفة اليونانية ، ترجمة عبد المجيد ، مكتبة النهضة المصرية ، ط1 ، 1958 ، ص146.

ربما يعرف الغالبية العظمى أرسطو من خلال فلسفته السياسية وكتاباته الشعرية الأدبية، كما يعرف بأفكاره عن أخلاقيات الفضيلة وأنواع الحكومات الستة ومساهماته في علم النبات وعلم الحيوان، إلا أن كل ذلك لم يكن سوى غيض من فيض، أما أهم ما ساهم فيه أرسطو في تاريخ الفكر الإنساني هو علم المنطق، ولعل أهم مؤلفاته في هذا الأمر هي ما يسمى الأورغانون، وهي مجموعة كتب ونصوص متعلقة بالمنطق. هذه النصوص مجردة تماماً وصعبة القراءة وغامضة، وربما لا يستطيع المرء فك شفراتها بسهولة لكن مع الكثير من الجهد يجد أنها مذهلة وعميقة جداً بشكل لا يمكن تصوره.

أرسطو : فلسفته ومادته ومنهجه وعلله

فلسفة أرسطو تتميز بمنهجين:

الأول . منهج نقدي تحليلي: حيث قام أرسطو بإيضاح فلسفة السابقين وتحليلها ونقد مالا يعجبه منها أو تزييفها، ولم يسلم من النقد أستاذه أفلاطون، وخاصة نظريته في المثل، حيث لم يعترف فيها أفلاطون بعالم المحسوسات.

وإذا كان أفلاطون يرى أنها أوهام وخيالات، فإن أرسطو يرى أن الوجود الخارجي في حقيقته ليس إلا هذه المحسوسات، وأن مفاهيم الأشياء المحسوسة ومعانيها الكلية لا وجود لها في الخارج مستقلة عن وجود أفرادها الحسية الجزئية.

الثاني . منهج تأسيس بنائي: وضع أرسطو أسسًا لمذهب فلسفي جديد خاص به، وقد جاء هذا المذهب نتيجة محاولات فكرية وإطلاع واسع على فلسفة من سبقوه[64].

*** فلسفة أرسطو:**

أولًا . فلسفة أرسطو فيما وراء الطبيعة: وتسمى الفلسفة الأولى أو ما بعد الطبيعة، وموضوع هذه الفلسفة هو الوجود الثابت الذي لا يتغير.

عارض أرسطو أستاذه أفلاطون الذي رأى أن الموجودات الطبيعية ليست إلا ظلالًا للمثل؛ فقرر أن الموجودات الحقيقية هي الموجودات المحسوسات، وأما المثل التي هي الكليات

[64] – أحمد موساوي ، معجم المناطقة ، المؤسسة الوطنية للفنون ، الجزائر ،2015 ، ص36.

فليس لها إلا الوجود العقلي فحسب[65].

والعقل ينتزع المثل (المفاهيم) من الموجودات الحقيقية، وهذه الموجودات تدرك بالمشاهدة لا بالفكر، وإذا كان وجود الأجسام الطبيعية حقيقيًا؛ فإن أرسطو أخذ في تفسيرها، وقال إنها مركبة من مبدأين: الهيولي والصورة.

فالهيولي كلمة معربة عن اليونانية معناها مادة غير معينة أصلًا، وبها تشترك الأجسام في كونها أجسامًا، وهي الموضوع الذي تقوم به الصفات، وهي في ذاتها لا توصف ولا تحد، ويمكن أن توصف إذا خلعت عليها الصورة.

وأما الصورة: فهي المبدأ الذي يعين الهيولي ويعطيها ماهية خاصة، ويجعلها شيئًا واحدًا، وهي ما نتعقله في الأجسام من الصفات؛ كاللون والخفة والثقل، والجمال واللمعان، والانطفاء والحلاوة.

وتعتمد فلسفة أرسطو فيما وراء الطبيعة على نظريته في العلَّة، والتي يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

يفسِّر أرسطو عن طريق العلَّة العناصر الميتافيزيقية المسببة للتغيرات المختلفة في الكائنات، ويُقسِّم أرسطو العلَّة إلى أربعة أنواع، هي:

1-العلَّة المادية: هي المادة التي تتكون منها الأشياء؛ كالبرنز للتمثال، والخشب للكرسي.

2-العلَّة الفاعلة أو المحركة: وهي ما يؤثر في إيجاد الشيء؛ كالصانع للتمثال أو الكرسي.

3-العلَّة الصورية: وهي الأوصاف والمميزات التي بها تكون حقيقة الشيء وماهيته، وهو ما به أصبح التمثال تمثالًا والكرسي كرسيًا.

4-العلَّة الغائية: وهي التي تشكل الغاية من وجود الشيء؛ وهو المقصد والهدف من إقامة التمثال.

وقد اختصر أرسطو العلل الأربع في علتين فقط هما: العلة المادية والعلة الصورية لاعتقاده بأن العلة الغائية ترجع إلى الصورة والعلة الفاعلة ترجع إلى المادة، ثم أطلق على ما أسماه

[65] – عبد الرحمان مرحبا ، من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية ، مرجع سابق ، ص156.

العلة المادية بالهيولي، وما أسماه بالعلة الصورية بالصورة، وعلى الهيولي والصورة يعتمد أرسطو في تفسيره لتغيرات هذا الوجود وما يحدث فيه من كون وفساد.

علاقة الهيولي بالصورة:

إن الهيولي لا تُشكِّل موجودًا ما إلا بعد أن تأخذ صورته، فهي في الخارج لا توجد مستقلة عن صورة ما، وإنما وجودها فيه يكون بحلول صورة الشيء الموجود في تلك الهيولي المطلقة، فإن حلَّت في الهيولي صورة نبات وجد النبات في الخارج بمادته وصورته، وإن حلَّت فيه صورة حيوان وجد في الخارج حيوان بصورته ومادته، وهكذا تتعاقب الصورة على المادة؛ فتتشكل منها مختلف الأنواع والأجناس على اختلاف مراتبها في عالم الموجودات. فإن حلَّت في المادة صورة موجود أدنى .كنبات أدنى مثلًا . أخذ الموجود مرتبة نبات، وإن حلَّت صورة أرقى قليلًا .كصورة حيوان مثلًا . أخذ الموجود مرتبة الحيوان، وهكذا ترقى الموجودات برُقي صورها من مرتبة إلى أخرى، وتتدانى الموجودات بدنو صورها من مرتبة إلى أخرى في طريق عكسي.

وفي أثناء ذلك تتصارع الصورة والهيولي، فالهيولي تحاول أن تجذب الصورة إلى موجود أدنى لأن طبيعتها مادة صرفة، والصورة تحاول أن تجذب الهيولي إلى موجود أرقى؛ لأن طبيعتها المعنى المجرد عن المادة الذي هو غاية الموجودات في حركاتها إلى أعلى، أي قد تنجح الصورة في جذب المادة إلى أعلى.

ويعلِّل أرسطو وجود شواذ المخلوقات في عالمنا هذا وحالات الإجهاض في الحيوانات بأنه مظهر إخفاق الصورة في تشكيل موجود كامل من الهيولي.

إن المادة في نظر أرسطو هي وجود الشيء بالقوة، وأن الصورة عبارة عن وجود الشيء بالفعل، فوجود الأشياء هو خروجها من القوة إلى الفعل وإعدام ما يعدم منها ليس إلا رجوعًا من الفعل إلى القوة.

ويرى أرسطو أن الطبيعة لا تسير بغير قصد، بل تسير لغاية معينة، وأنها حية في السماء والأرض وحكيمة في الإنسان والحيوان والنبات، وكل ما يجري من أفعالها فلا بد أن يكون ذا

مغزى ظاهري أو خفي؛ فلا يصدر عنها فعل عابث أو مظهر بلا نتيجة، وبهذا يكون أرسطو قد خالف الفلاسفة السابقين، الذين نفوا القصد والغاية في الطبيعة، وزعموا أن أفعال الطبيعة إلى الضرورة الآلية أو المصادفة الهوجاء . [66].

[66] – جون تريكو ، المنطق الصوري ، ترجمة محمود يعقوبي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992 ، ص37.

المحاضرة العاشرة : المدرسة الأبيقورية

عناصر المحاضرة

تمهيد

الحديقة والرواق

الأخلاق والفضيلة العملية

الانسان عند أبيقور

الزهد عند أبيقور

تمهيد :

تنسب الفلسفة الأبيقورية إلى أبيقور(341-270 ق.م)، وتتميز فلسفته بصبغة أخلاقية عملية، وترتبط هذه الفلسفة باللذة والسعادة الحسية ، وتسعى الفلسفة في منظور هذه المدرسة إلى الحصول على السعادة باستعمال العقل التي هي غاية الفلسفة يخدمها المنطق وعلم الطبيعة، أي إن المنطق هو الذي يسلم الإنسان إلى اليقين الذي به يطمئن العقل والذي بدوره يؤدي إلى تحقيق السعادة، ويهدف علم الطبيعة إلى تحرير الإنسان من مخاوفه وأحاسيسه التي تثير فيه الرعب، ويعني هذا أن الفلسفة لابد أن تحرر الإنسان من مخاوفه وقلقه والرعب الذي يعيشه في الطبيعة بسبب الظواهر الجوية والموت وغير ذلك.

الحديقة والرواق :

عام 306 ق.م انشأ ابيقور اليوناني في أثينا مدرسة تدعى "الحديقة" يرافقه فيها تلاميذه واصدقاءه لسنين طويلة, ذاع صيت "حديقة أبيقور" والتي دامت نحوا ثلاثة قرون الى جانب أكاديمية افلاطون ومدرسة ارسطو وفلسفة الرواقيين القائلة " أن كل شيء في الطبيعة يقع في العقل الكلي ويقبل مفاعيل القدر طوعا" ، تميزت "الحديقة" عن سواها بكونها كانت اكثر من مركز اختبارات وتبادل للمعارف وكانت تجمعا أخويا حياتيا لا يفرض تكاليف التسجيل والتعليم

على المنتسيبين , بل يتكفل الأثرياء من أنصار الآداب والعلم بمساعدة المحتاجين وكان الرجل يختلط بالمرأة والصغار بالراشدين والعبيد بالأحرار.[67]

الأخلاق والفضيلة العملية:

وصف أبيقور الفلسفة بأنها – فن إسعاد الحياة –، ويقول إنّ التعقّل هو أنبل جزء من الفلسفة، فيبدو أنّ فلسفته الطبيعية ونظريته المعرفية قد تم تبنيها من أجل نظريته في الحياة، وبناءً على إبيقور أنّ السعادة الشخصية، والسعادة لا يقصد بها حالة الرفاهية والكمال التي يصاحب الوعي بها اللذة، بل يقصد بها المتعة نفسها، وعلاوة على ذلك فإن هذه المتعة حسية، لأنها لا يمكن بلوغها إلا في هذه الحياة.

فيما يلي سبعة مبادئ أخلاقية أساسية للأبيقورية ، تدور حول كيف يجب أن يعيش الفرد؟ ما هو هدف العيش؟ كيف يجب أن نتابع هذا الهدف؟

حتى لو لم تكن قادرًا على التخلص من كل الألم والقلق، فإن الحياة الممتعة ممكنة، فيستمر الألم الشديد بشكل عام لفترة قصيرة، وحتى أنه يستمر لفترة طويلة فهو خفيف بشكل عام، وهذا يعني أنه في الأوقات الصعبة يجب على المرء أن يتحلى بالصبر، لأن معظم الأشياء السيئة تمر.

لا توجد لذة سيئة في حد ذاتها، لكن بعض الملذات تجلب الألم أكثر مما تبرره اللذة، فلا ينبغي السعي وراء متعة واحدة إلى الحد الذي تستهلك فيه حياتنا، لأنه إذا فعل ذلك الفرد فلن يكون هناك أي مجال لأي ملذات أخرى، هذا يعني الاعتدال في كل شيء.

[67] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص214.

مصطلح الفضيلة هو ببساطة الإسم الذي نطلقه على الأدوات الضرورية التي يمكن من خلالها تحقيق حياة ممتعة، فلا يمكن أنّ يعيش الفرد بشكل ممتع بدون هذه الأدوات، ولا يمكن إستخدام هذه الأدوات بشكل صحيح دون العيش بشكل ممتع.

يمكن للبشر أن يعيشوا بحكمة وأن يسعوا وراء المتعة بذكاء لأنهم عملاء أحرار وأفعالهم لا تحددها القوة الخارجية بالكامل.

إذا عاش الفرد بحكمة، فسيرى أنّ أهم أداة لديه للسعادة والأمان هي الصداقة مع أشخاص من نفس التفكير والموقف والولاء.

الأساس الحقيقي الوحيد للعدالة هو الاتفاق المتبادل للمنفعة بين الكائنات الذكية، على عدم إلحاق الضرر أو تلقيه من الآخر، وهذا يعني التركيز على التسوية والاتفاق عند الضرورة، وراحة البال وتجنب العداوة الغير الضرورية والتوتر الذي تسببه هذه العداوة.

بينما لا يوجد شيء مثل العدالة المطلقة أو العالمية أو الظلم، فإن العدالة التي يمكن للفرد التمتع بها تقوم على اتفاقيات المنفعة المتبادلة، وهذا يعني أنّ العلاقات تتغير بمرور الوقت وتصبح أقل فائدة للطرفين فلا يمكن اعتبارها عادلة[68]..

الانسان عند أبيقور :

كلّ آراء أبيقور تصبّ في منحى الاهتمام بالإنسان وعودته إلى حصنه الداخلي ليحيا بسلام لا تؤرقه الآلهة، فحتى نظرته للعالم تهدف لخدمة السعادة الفردية، رأى العالم مكونًا من ذرات وخلاء تتحرّك فيه هذه الذرات بدون علة تحكم هذه الحركة، واعتبر أن الثقل هو علة الحركة، وعلة الثقل تجعل حركة الذرات مستقيمة تتجه من أعلى إلى أسفل، غير أنها حين

[68] – برتراند راسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ،ج2 ، ترجمة زكي نجيب محمود ، القاهرة ، دار النهضة ، مصر ، 1952 ، ص399.

تسقط تنحرف، لتصطدم وتلتقي فيما بينها لتتشكل منها المركبات المادية. و يعتبر هذا الإنحراف نوعًا من الإرادة في حركة الذرات، وليست إرادة الإنسان إلا هذا الإنحراف عن العلة.

إذن الإرادة والحرية الإنسانية هي انحراف حاصل في هذه الذرات، باعتبار أن جسم الإنسان مركب من ذرات، ونفسه أيضًا عبارة عن جسم يتألف من هذه الذرات التي تتناثر بعد الموت، ليكون الإنسان بذلك كائنًا ضمن الطبيعة، ولكنه يتميز بالحرية و الإرادة.[69].

الزهد ميز حياة أبيقور:

الرغبات الباطلة فتشتمل على الرغبة في السلطة و الثروة والشهرة وما شابه ذلك. ومن الصعب إرضائها، ويرجع ذلك جزئياً إلى عدم وجود حدود طبيعية لها، فإذا رغب المرء في الثروة أو السلطة، بغض النظر عن مقدار ما يحصل عليه، فمن الممكن دائماً الحصول على المزيد، وكلما حصل المرء على المزيد، زادت رغبته، هذه الرغبات ليست طبيعية للبشر، لكنها غُرِسَت في المجتمع والمعتقدات الخاطئة حول ما نحتاجه؛ على سبيل المثال، الاعتقاد بأن امتلاك القوة سيجلب لنا الأمن من الآخرين، يعتقد أبيقور أنه يجب القضاء على هذه الرغبات، وهذا هو مفهوم اللذة عند أبيقور.[70]

في النهاية فإن الفلسفة الأبيقورية لا تدعو إلى المتعة كغاية في حد ذاتها كما يعتقد الكثير، ولكن السعي وراء المتعة يجب أن يهدف إلى تقليل الألم. لذا كان من الضروري توضيح مفهوم اللذة عند أبيقور بصورة صحيحة، وقد ساهمت هذه الفلسفة في العلوم خلال أوائل القرن التاسع عشر عندما نشر (جون دالتون) نظريته الذرية للمادة ، والتي أصبحت أساس كل الكيمياء الحديثة[71]..

---

[69] – أحمد فؤاد الأهواني ، المدارس الفلسفية ، مرجع سابق ، ص70.

[70] – أبيقور ، الحكمة الأساسية ، ترجمة جلال الدين السعيد ، الأعمال الكاملة ، لأبيقور ، سلسلة مصادر الفلسفة ، تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1991، ص7

[71] – جلال الدين السعيد ، أبيقور ، الرسائل والحكم ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط1 ، 1991 ، ص205.

المحاضرة الحادية عشر: المدرسة الرواقية

عناصر المحاضرة

تمهيد

مفهوم الفلسفة عند الرواقيين

الحياة السعيدة عند الرواقيين

تمهيد :

اعتمدت المدرسة الرواقية التي ظهرت بعد فلسفة أرسطو على إرساء فن الفضيلة ومحاولة اصطناعها في الحياة العملية، ولم تعد الفلسفة تبحث عن الحقيقة في ذاتها ، بل أصبحت معيارا خارجيا تتجه إلى ربط الفلسفة بالمقوم الأخلاقي، وركز الكثيرون دراساتهم الفلسفية على خاصية الأخلاق كما فعل سنيكا الذي قال: إن الفلسفة هي البحث عن الفضيلة نفسها، وبهذا تتحقق السعادة التي تمثلت في الزهد في اللذات ومزاولة التقشف والحرمان.

وقد تبلور هذا الاتجاه الفلسفي الأخلاقي بعد موت أرسطو وتغير الظروف الاجتماعية والسياسية حيث انصرف التفكير في الوجود إلى البحث في السلوك الأخلاقي للإنسان.

هذا، وقد ارتبطت المدرسة الرواقية بالفيلسوف زينون (336-264ق.م) الذي اقترنت الفلسفة عنده بالفضيلة واستعمال العقل من أجل الوصول إلى السعادة الحقيقية. [72]

وتعد الفلسفة عند الرواقيين مدخلا أساسيا للدخول إلى المنطق والأخلاق والطبيعة، وقد كان المنطق الرواقي مختلفا عن المنطق الأرسطي الصوري، وقد أثر منطقهم على الكثير من الفلاسفة والعلماء.

وسنشير الى ذلك بشيء من التفصيل فيمايلي:

مفهوم الفلسفة عند الرواقيين:

[72] – لبيب عبد الغني مصطفى ، في فلسفة الطبيعة عند الرواقيين ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، دت ، ص22.

نستطيع أن نقول أنه يمكن تلخيص أهم مبادئ الفلسفة الرواقية فيما يلي:

كان هناك شعور بأن الشخصَ الحكيم موثوقٌ لأن ما من شيء يُغريه بعيدًا عن الفضيلة، ولكن إذا كان أي شيء آخر غير الفضيلة قيمًا، سيكون منافسًا محتملًا للفضيلة، وبالتالي فإن التزام الشخص الحكيم بالفضيلة لن يكون موثوقًا بعد كل شيء.

سعادتنا معرضة لسوء الحظ طالما نسمح لأنفسنا بالاهتمام بأشياء خارج نطاق قدرتنا، في حين لا يُمكن إحباط سعادة مَن لا يهتمون إلا بمواقفهم وخياراتهم الخاصة.

يجب على كل واحد منا أن يحاول أن يكون ممثلَ مسرح جيد، يؤدي دون شكوى الجزء الذي أوكله الإله إليه أو القدر، الذي يعتبره الرواقيون بمثابة نار كونية حية وذكية تتخلل الكون وتتحكم فيه.

على الرغم من أن البشرَ يبدؤون بتعلق غريزي بالحفاظ على أنفسهم وعملهم الطبيعي، ويقدرون العقل في البداية وسيلةً مفيدةً لهذه الأهداف الأساسية فقط، لكن في حالة تطورنا ونضجنا بشكل صحيح وتعودنا على استخدام العقل، سنصل إلى تقدير العقل بمثابة غاية وليس وسيلة، والنتيجة هي أنه عندما يكون نشاطنا العقلاني في وئام منظم مع أشخاص آخرين ومع الطبيعة سيأخذ مكان مخاوفنا السابقة تمامًا[73].

الحياة السعيدة عند الرواقيين :

كما أن التعاليم الفلسفية الرواقية تؤكد على الجانب الأخلاقي من الفرد، من خلال ممارسة الفضائل الأساسية الأربعة (المستمدة من تعاليم أفلاطون): الحكمة، والشجاعة، والعدالة، والاعتدال. وتتشابه أيضًا التعاليم الرُّواقية مع التعاليم الأخلاقية البوذية، التي تستند إلى الحقائق النبيلة الأربع:

حقيقة المعاناة.

[73] – عثمان أمين ، الفلسفة الروافية ، كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، 1945 ، ص9.

أصل المعاناة في العاطفة والرغبة.

السعادة هي التحرر من العواطف.

ضبط النفس الأخلاقي والانضباط الذاتي هو الوسيلة التي يصبح بها الفرد متحررًا من المعاناة.[74].

وبالنتيجة فإن التعاسة والمعاناة هما نتيجة للجهل وعدم التحكم بعواطفنا، إذًا يمكننا تجنب وجوه المعاناة العديدة من خلال اتّباع هذه التعاليم الفلسفية والتمرن عليها، يقول المثل الأعلى الرُّواقي: "عش وفقًا للطبيعة"، إن العيش وفق الطبيعة والعقل هو مع النظام الكوني، والاعتراف بالسبب المشترك والقيمة الأساسية لجميع الناس، وبالتالي فقد عززت المساواة، وأنكرت أهمية الاختلافات الخارجية مثل المرتبة والثروة في العلاقات الاجتماعية. وهكذا تُخرِّج هذه الفلسفة مفكرًا غير متحيزٍ ومنضبط ذاتيًّا.

[74] – عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، مرجع سابق ، ص 11

المحاضرة الثانية عشر: تابع المدرسة الرواقية

عناصر المحاضرة

تمهيد

المعرفة عند الرواقيين

علاقة المنطق الرواقي بالطبيعة

الجدل عند الرواقيين

تمهيد :

نواصل كلامنا هنا أيضا عن المدرسة الرواقية من خلال مجموعة العناصر المفصلة فيما يلي:

المعرفة عند الرواقيين:

بحث الرواقيون في الأسس التي تقوم عليها المعرفة ومصادرها والمعيار الذي يميز بين المعرفة الصحيحة والباطلة فكانوا ماديين، لأن المعرفة عندهم معرفة حسية فقالوا إن المحسوسات هي الأصل في المعرفة، ففسروا الإحساس تفسيرا ماديا فقالوا "الإحساس هو انطباع أثر المحسوس في النفس.

من خلال الاطلاع على فروض النظرية الرواقية، يجد القارئ من خلال مطالعته لتلك الفروض أهم المعلومات حول تكوين المعارف، وهو ما سنتعرف عليه من خلال ما يلي:

لا تتكون المعارف والمفاهيم المختلفة إلا عن طريق التطابق.

يعد التطابق كما تشير النظرية هو المشكل الأول لتكوين المعارف وترسخ المبادئ والمفاهيم لدى البشر.

مدى التطابق ما بين الصورة التي يشكلها الذهن، وما بين الواقع هو الذي يسهل من تشكيل المعارف لدى الشخص.[75]

[75] – عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، مرجع سابق ، ص 13

يقول الرواقين من أصحاب تلك النظرية، أنه من غير الجائز أن يتم اختزال المعارف في عقول الأشخاص.

لذا فهناك أهمية لكي تكون المعرفة غير مختزلة وكاملة عن طريق استعمال الحواس، والاستعانة بها.

من بين ما قاله الرواقيون في صدد تعريف الحقيقة، هو أن مقياسها هو الشعور، وليس الإحساس.

من بين المعلومات الأساسية التي تتعلق بنظرية المعرفة عند الرواقية ما يلي في تلك النقاط المقبلة:

تعتبر تلك النظرية الرواقية من بين أهم الأفكار التي عملت على استعادة الطابع المميز لشتى أنواع المعرفة.

ترتبط النظرية الارتباط الوثيق بمعرفة الحقائق، وماذا تعني الحقيقة، وأهم الفروق ما بينها وبين معتقدات أي شخص وأفكاره.

قامت تلك النظرية بعقد مقارنة ما بين واقع افتراضي يشكله ذهن الشخص، وبين واقعه الحقيقي الملموس والمحسوس.

يطلق عليها أيضًا نظرية التطابق المعرفي، وتعتبر من بين أقوى النظريات المعرفية، والتي تتناول وبعمق أقوى المفاهيم التي تخص تطور التفكير، وتطور الأفكار في كل مجتمع.

علاقة المنطق الرواقي بالطبيعة:

المعرفة عند الرواقيين ترجع إلى الحس، والأصل في المعرفة أن الشيء يطبع صورته في الحس بفعل مباشر لا بواسطة أشباه كما ارتأى الأبيقوريون. والمعرفة على هذا النحو هي أفكار حقيقية يقينية تمتاز بالدقة والوضوح. وهذه الأفكار الحقيقة هي الدرجة الأولى من درجات المعرفة، يشبهها زينون باليد المبسوطة، الدرجة الثانية هي التصديق ويشبهها باليد المقبوضة قبضاً خفيفاً، ويقوم التصديق في النفس رداً على التأثير الخارجي وهو متعلق بالإرادة، أما

الدرجة الثالثة فهي الفهم، وهو يشبه اليد المقبوضة قبضا تاماً، وهناك درجة رابعة وأخيرة وهي العلم الذي يشبه اليد المقبوضة بقوة والمضغوط عليها باليد الأخرى.

العلم إذا هو تنظيم للمعرفة الحسية، أي جميع الإدراكات الجزئية وسلكها في مجموعة متناسقة تصور وحدة الوجود، أما إذا اعتبرنا القضايا والحجج التي نركبها بمناسبة الأشياء وأهملنا الأشياء صار لنا علم المنطق. والمنطق عند الرواقيين ليس مجرد آلة أو أداة (أرغانون) كما اعتقد أرسطو، بل هو مقدمة للفلسفة وجزء جوهري منها، فهو يتضمن رؤية للعالم تدعمه، ومذهبا اسمياً يؤكد أن الفرد هو وحده الذي يملك الحقيقة الواقعية في حين أن التصورات ما هي إلا مجرد كلمات. فالوجود الحقيقي عند الرواقيين هو للفردي أما العام أو التصور فما هو إلا كلمة فارغة.

يسعى المنطق الرواقي إلى أن يحدد تضمن الحوادث وفقا للحقيقة ولا يهتم بدراسة دمج التصورات بعضها إلى بعض، فالقضية عند الرواقيين ليست حكما حملياً تسند محمولات إلى موضوع نحو(الغزال حيوان) بل هي قضية تعبر عن حوادث (الشمس ساطعة) أو (السماء ممطرة)، بمعنى آخر، القضية عند الرواقيين هي صدور فعل عن فاعل (سقراط يتكلم) وليست وضع نسبة بين معنيين كما هي حالها عند أفلاطون وأرسطو. فالاستدلال الأرسطي يقوم على دمج مفاهيم في نموذج معروف: (كل إنسان فان . سقراط إنسان : سقراط فان).

أما الاستدلال الرواقي فيستند أساسا إلى تضمن العلاقات الزمانية: (إذا كان في ثديي هذه المرأة حليب، فذلك لأنها ولدت). هكذا أحل الرواقيون منطق اللزوم أو الاستتباع مكان منطق التلازم أو الاستغراق.

فمعرفة العلاقات الزمانية وروابط الضرورة بين مقدم وتال هي المهمة الأولى للإنسان الذي يريد أن يعيش وفق العقل أي وفق الطبيعة.

هنا نجدنا أمام فكرة القانون بدلاً من فكرة الماهية.[76]

الجدل عند الرواقيين:

[76] – عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، مرجع سابق ، ص170.

أما الجدل عند الرواقية فيبدو أنه بلغ سن الرشد مع (خريزيبوس) حتى قيل: ((لو كانت الآلهة تمارس الجدل لاختارت جدل خريزيبوس)). ويعتبر الرواقيون جدلهم فضيلة تحوي داخلها كل الفضائل الأخرى. ففيه التبصر الذي يعلمنا متى يليق بنا أن نؤيد ومتى لا يليق بنا ذلك. وفيه الفطنة وهي القدرة على أن نعارض بالأدلة ما ليس حقيقياً إلا في ظاهره بغية ألا ننقاد إليه. وفيه الصرامة أو قوة الاستدلال. وأيضا فيه الرزانة وتعني المقدرة على أن نؤلف بين التمثلات في استدلال صحيح.[77].

الجبرية العاقلة أو الوفاق مع الطبيعة:

شعار الرواقية كما قدمنا هو العيش في وفاق مع الطبيعة، فإذا كان الحكيم لا يستطيع أن يغير من سنن الكون شيئاً فبوسعه أن يتقبل بكل الرضا جميع ما يحمله قدره إليه فلا يجزع أو يحزن على أحد مهما كانت صلته به، وبوسعه أن يستأصل من نفسه كل ما يخالف منطق العقل من ألم وخوف وأوهام. لكن ما هو حيز الحرية المتروكة للإنسان أمام هذه الجبرية المطلقة؟ ألم يسخر الأبيقوريون مما يراه البعض قدرا وأن الإنسان نفسه هو سيد هذا العالم ولا سيد له؟

ترى الرواقية أنه يمكن الحفاظ على فكرة القدر مع تجنب فكرة الضرورة. حيث يميز خريزيبوس بين نوعين من العلل: العلل الباطنة، وهي العلل الأساسية والكاملة المتوقفة علينا، والعلل المساعدة والمقدمة وهي التي تكون سلسلة القدر، فهناك سلسلة من العلل المقدمة ستجعل مثلاً من هذا اليوم ماطراً. لكن العلل الأساسية الباطنة التي تتوقف علينا هي التي ستحدد الطريقة التي سنواجه بها هذا الحادث الخارجي. وهنا يلجأ خريزيبوس إلى مثاله حول المخروط والاسطوانة. حيث سيتحرك هذان بفضل دفع خارجي (علة مساعدة مقدمة) لكن سيتحرك كل منهما وفق طريقته الخاصة بحسب بنيته(علة باطنة كاملة أساسية).

إذا لا تقوم حرية الإنسان على أن يريد أن يحدث كل شيء وفق رغباته. لا يوجد خلف أكبر من ذلك. فإذا كنت أريد أن أكتب اسم(زيد) فيجب أن أكتبه لا كما أريد أنا بل كما هو،

[77] – عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، مرجع سابق ، ص 197.

ويذهب ابيكتيتوس إلى أن الحرية تقوم على أن تريد أن تحدث الأشياء لا كما يحلو لك ذلك وإنما كما تحدث هي، فإذا ((كنت مجبرا على أن أركب البحر فعلي أن أحسن اختيار المركب والقبطان والبحارة والفصل والنهار والرياح، هو ذا كل ما يتوقف عليّ. وبعدما أصبح في عرض البحر تطرأ عاصفة هوجاء، الأمر لم يعد أمري إنه أمر القبطان، فإذا غرق المركب ماذا عليّ أن أفعل؟ لن أعذب نفسي إطلاقاً، كل ما هو مولود يجب أن يموت إنه القانون العام، إذاً يجب أن أموت)).

الأبيقورية تطالب الإنسان أن يتعلق باللحظة الحاضرة وبما تمنحه إياه من لذة دونما أن يكون هناك أي قدر فكل شيء في العالم يفسر بعلل فيزيائية، الحكيم الأبيقوري ليس له سيد بل متحرر دائما من الخشية من الآلهة والهلع من الموت، فيكون هو نفسه إلها بين البشر متحرراً من الحركة الباطلة للأشياء والموجودات، أما الحكيم الرواقي هو ذاك الذي يحب الزمان ويخضع له لأنه يعبر عن حياة العالم وتعاطف الإنسان مع الموجودات وإرادة الله. فنحن لا نخاف من الموت لأنه عملية طبيعية وانحلال انطلاقا منه تتولد أشياء أخرى، هكذا يكف القدر أن يكون قوة هي بجوهرها من خارج العالم، بل هو حقيقة واقعية تندرج في بنية العالم. إنه النظام الثابت في الأشياء، هو ترتيب يقوم منذ الأزل لكل شيء ويتبع ويرافق كل شيء آخر ولا يمكن انتهاكه، فهو عقل العالم أو قانون كل الأشياء الموجودة في العالم والتي تسوسها العناية الإلهية. إنه بتعبير آخر تلك الجبرية العاقلة.[78].

[78] – روزنتال ، الموسوعة الفلسفية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط6 ، 1980 ، ص23.

المحاضرة الثالثة عشر : مدرسة الاسكندرية

عناصر المحاضرة

تمهيد

الاسكندرية من حيث التسمية

الخصائص العامة لفلسفة فيلون

فيلون والتأويل المجازي والرمزي

أفلوطين

تمهيد :

نتقلت الفلسفة إلى مدينة الإسكندرية التي بناها الإسكندر المقدوني إبان العصر الهيليني، وكانت مشهورة بمكتبتها العامرة التي تعج بالكتب النفيسة في مختلف العلوم والفنون والآداب. ومن أشهر علماء هذه المدرسة أقليديس وأرخميديس واللغوي الفيلولوجي إيراتوستن. وقد انتعشت هذه المدرسة في القرون الميلادية الأولى وامتزجت بالحضارة الشرقية مع امتداد الفكر الديني والوثني وانتشار الأفكار الأسطورية والخرافية والنزعات الصوفية.

ومن مميزات هذه المدرسة التوفيق بين آراء أفلاطون المثالية وأرسطو المادية، والتشبع بالمعتقدات الدينية المسيحية واليهودية والأفكار الوثنية من زرادشتية ومانوية وبوذية، والفصل بين العلم والفلسفة بعد ظهور فكرة التخصص المعرفي، والاهتمام بالتصوف و التجليات العرفانية والغنوصية والانشغال بالسحر والتنجيم والغيبيات والإيمان بالخوارق.

وقد تشبعت الفلسفة الأفلاطونية بهذا المزيج الفكري الذي يتجسد في المعتقدات الدينية والمنازع الصوفية وآراء الوثنية، فنتج عنها فلسفة غربية امتزجت بالطابع الروحاني الشرقي، وذلك من أجل التوفيق بين الدين والفلسفة .بيد أن الذين كانوا يمارسون عملية التوفيق كانوا يعتقدون أنهم يوفقون بين أرسطو وأفلاطون، ولكنهم كانوا في الحقيقة يوفقون بين أفلاطون وأفلوطين؛ مما أعطى هجينا فكريا يعرف بالأفلوطينية الجديدة. ومن أشهر فلاسفة المدرسة الإسكندرية نستحضر كلا من فيلون وأفلوطين اللذين كانت تغلب عليهما النزعة الدينية والتصور

المثالي في عملية التوفيق. وتتميز فلسفة أفلوطين بكونها عبارة عن" مزيج رائع فيه قوة وأصالة بين آراء أفلاطون والرواقيين وبين الأفكار الهندية والنسك الشرقي والديانات الشعبية المنتشرة آنذاك.

الاسكندرية من حيث التسمية:

أصبحت الإسكندرية في عصر الدولة الرومانية مركزا ومقراً للفلسفة اليونانية الرومانية، وكان من الطبيعي أن يفد إليها الفلاسفة اليونانيون والرومانيون والمصريون، وقد أهلها لذلك موقعها الممتاز على البحر الأبيض المتوسط، ولقد أطلق على الفلسفة السائدة في تلك الفترة "الفلسفة الانتخابية " وهي الفلسفة المأخوذة من فلسفات مجموعة من الفلاسفة، فهي ليست فلسفة رومانية صرفة، ولا يونانية صرفة، بل هي خليط من تلك الفلسفات القديمة.[79].

وقد حمل لواء الفلسفة الانتخابية الفيلسوف اليهودي: فيلون المولود من أحد الأمريكيين في الإسكندرية عام 25ق.م، والمتوفى سنة 50م. كان فيلون يؤمن بالديانة اليهودية وبكتابها المقدس التوراة، كما كان يؤمن بالفلسفة اليونانية، وهو يرى أن التوراة وحي مشوب بالوضوح والجلاء، والفلسفة وحي مشوب بالعمق والغموض، وكل منها يهدف إلى تجلية الحقيقة وشرحها للناس ولهذا قيل إن فيلون هو المسئول الأول عن خلط الفلسفة اليونانية بالوحي والإلهام، وقد أثر عنه شرح للتوراة على نمط فلسفي عميق. [80].

الخصاص العامة لفلسفة فيلون:

يعتبر الفيلسوف اليهودي "المتأغرق" فيلون السكندري (20ق.م-40م) رائد (Précurseur) "مدرسة الإسكندرية الفلسفية" التي ظهرت في القرن الأول للميلاد، إذ أنه كان معاصراً للبدايات الأولى للمسيحية، وقد عاش فيلون السكندري في مدينة الإسكندرية التي كانت آنذاك من أكبر المراكز الثقافية والسياسية في حوض البحر المتوسط، وعلاوة على

[79] – فؤاد زكريا ، مدرسة الاسكندرية في الفلسفة والعلم مع ترجمة التساعية لأفلوطين ، دط ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، 2004 ، ص19.

[80] – فؤاد زكريا ، مدرسة الاسكندرية في الفلسفة والعلم ، مرجع سابق ، ص 20.

إنتاجه الفكري الغزير الذي كان "دفاعيا" (Apologétique) –الذي حاول من خلاله تبيان التوافق الكبير بين القانون اليهودي والفلسفة الهيلينية – فإن فيلون السكندري قد اضطلع بدور سياسي مهم، إذ انه كان من بين ممثلي الجالية اليهودية القاطنة بالإسكندرية لدى السلطات الرومانية.

أساس فلسفة فيلون هو الاعتقاد أن جوهر الإيمان هي الفلسفة وأن الإيمان والفلسفة متداخلان ومتكاملان ولا يمكن الفصل بينهما، كما آمن أن الشريعة الموسوية(نسبة إلى موسى النبي) هي شريعة عالمية تضم الجميع وأراد أن يكشف عن هذه العالمية باستخدام آليات استقاها من الفلسفة، أصالة ولب فكر فيلون يتمثل في أنه حاول أن يكشف عن الحقائق التي تضمنتها التوراة عن طريق الاستعانة بمنهج التأويل. والتأويل في حقيقة الأمر هو منهج للبحث عن المعنى الخفي الذي أراد الله أن يوصله للبشر. وهذا الفعل التأويلي الذي وظفه فيلون غايته إيجاد سبل التقارب بين الكتاب المقدس والأفكار الفلسفية المتداولة. كما أنه يعد وسيلة للدفاع عن العقيدة اليهودية لأنه يصبو إلى رفع هذا التناقض الظاهري الذي تحمله النصوص المقدسة من أجل الكشف عن المعنى الخفي الذي يعبر عن الحقيقة، لأن التوراة كانت تقدم كلاما عن الله وعن قضايا أخرى غير منسجمة مع التفكير المنطقي والتحليل الفلسفي ،وعملية التأويل في لُبها هي سعي لإيجاد معنى متماسك منطقيا ومقبول عقليا.[81].

من بين المسائل الفلسفية المهمة التي خاض فيها فيلون هي مسألة أو مشكلة الله ، ولأنه عاش في ثقافة تؤمن بتعدد الآلهة وتحمل تصورات مختلفة متعلقة بالآلهة من حيث قدرتها وطبيعتها وعلاقتها بالبشر وعلاقة البشر بها وغيرها من التصورات التي نجدها مختلفة مع التصورات التي تقدمها الديانة اليهودية. حتى أن مشكلة الله هي المشكلة الرئيسة التي كان يدور حولها الصراع والسجال بين اليهود والوثنيين. وقد أدرك فيلون وهو العارف الحاذق بالثقافة الوثنية أن هناك مستويين من التفكير في هذه الثقافة الأول وهو تفكير العامة الذي يتميز بالسذاجة والثاني هو تفكير الفلاسفة والشعراء الذي يتميز بالعمق والحصافة. وقد حاول فيلون

[81] – أنور عبد الجليل ، فيلون الاسكندري وفلسفته الوفيقية ، حوليات أصول الدين بالمنوفية ، ع36 ، 2017 ، ص40.

الاستثمار في أفكار الفلاسفة والشعراء اليونان أمثال سقراط وأفلاطون ,أرسطو... الذي قالوا بفكرة الإله الواحد والذي اتخذ تسميات مختلفة باختلاف الفلاسفة: المحرك الذي لا يتحرك، العلة الأولى، روح العالم، الصانع، وغيرها من المفاهيم. واعتبر فيلون أن هذه التصورات تجد جذورها في اليهودية. إلا أن هناك بعض الشوائب التي وقع فيها هؤلاء الفلاسفة والتي ينبغي تصحيحها.

إن الله الذي يقول به الفلاسفة اليونان هو إله غير منفعل بمعنى أنه لا يكترث بالكائنات ولا يكترث بالإنسان ولا يتدخل في أفعالهم. في حين أن اليهودية تقدم تصورا عن إله منفعل ومتفاعل مع البشر بمعنى أن الله عند اليهود يحب ويكره، يعاقب ويجازي، يعفو وينتقم... كما أنه أعد الجنة لعباده الصالحين والعذاب لعباده للظالمين. أما مسألة الخلق فإن الفلاسفة اليونان يقولون أنه لاشيء يأتي من العدم لهذا افترضوا مادة أولية خلق أو لنقل صنع، على حد قول أفلاطون، منها العالم وهذه الفكر لم ترق لفيلون كونها تتعارض مع قدرة الله الكاملة في خلق كل شيء لهذا رفض فكرة المادة الأزلية التي قال بها أرسطو، كما أن فيلون استثمر في فكرة أفلاطون القائلة أن العالم كان نتيجة خيرية الله ولو لا أن الله خير لما كان هذا العالم ويضيف إليها فيلون أن هذه الخيرية صاحبتها عملية الخلق.[82].

أول ما خلقه الله هو اللوغوس الذي يعني باليونانية : العقل أو الذكاء وأحيانا الكلمة. أما فيلون فهو يستخدمه أحيانا للإشارة إلى: مجموع القوى العقلية للكون وأحيانا أخرى يعنى به القانون الأخلاقي للعالم. وهو أول تمظهرات الخلق الإلهي ومن خلاله ينكشف الله لمخلوقاته ويؤثر في الطبيعة ويوجه البشر. وبواسطته يتجلى لعباده الصالحين. وهذه الفكرة شبيهة بنظرية المثل عند أفلاطون ومن الممكن أنه استقى هذه الفكرة من عنده. وهناك من يرى أن فكرة اللوغوس موجودة في التراث العبراني وهي تجد أصولها هناك، لكن هذه تبقى مجرد فرضيات من الصعب التحقق منها، إلا أن الشيء الأكيد أن فيلون لم يكن مبدع هذه الفكرة بل استقاها من التراث الفكري الذي سبقه، إن فكرة اللوغوس أتاحت لفيلون أن ينزه الله من كل تصور ومن

[82] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص308.

جهة أخرى أتاحت له القول بأن الله يرعى هذا العالم ويهتم بالبشر ويسير الطبيعة ويعتني بمخلوقاته. [83].

كما أنه حاول أن يصحح بعض الأفكار المدرسة الرواقية التي تدعي أن العقل الإنساني إذا تحرر من كل القيود والأهواء التي تعيق عملية تعقله بإمكانه أن يتحد مع العقل الكلي الذي يمثل الله عند اليهود، ففيلون يرى أن العقل البشري عاجز عن بلوغ المقام الإلهي لأن عقله قاصر على ذلك. أما بالنسبة للذين أدركوا الله بعقولهم فذلك لم يكن عن طريق استعداداتهم العقلية الخاصة بل لأن الله أراد أن ينكشف لهم بمعنى أن معرفة الله ليس من خلال إمكانيات الإنسان وإنما من خلال انكشاف الله لهم، وفي هذه المسألة طرح فيلون إمكانية المعرفة وحدودها وهي المسألة التي سيتم تناولها بشكل مفرط في العصر الحديث، كما أن قوله أن الإنسان لا يعرف الله بما يمتلكه من قدرات عقلية بل بانكشاف الله لعباده فهذا يعني أن الانكشاف خاضع لمعايير أخرى وهي: التقوى والإخلاص والامتثال للشرائع الموسوية وليس للتفكير المنطقي و الفلسفي. وهذه الفكرة غائبة في الفكر اليوناني.

إن فيلون لم يطرح أصلا فكرة وجود الله ولم يسعى إلى تقديم أدلة حول وجوده بل إن مسألة وجوده محسومة عنده، هو يعلم أن الله موجود لكنه يتجنب الحديث حول كينونته. ويرى أن كل ما يمكن قوله عنه هو أنه موجود، وأي كلام آخر فهو مجرد لغو، إلا أن ما يهم أكثر فيلون هي العلاقة التي تجمع بين الله والإنسان. ويعتبر فيلون أن مصدر الشر في العالم هي المادة.

في النهاية يمكن القول أن الفلسفة اليهودية انبثقت في اللحظة التي احتكت بالفلسفة اليونانية وثقافتها. وهذا يكشف لنا أن الفلسفة اليهودية لم تكن نتيجة تأمل داخلي بل كانت نتيجة مؤثرات خارجية عملت على تحريك دواليب العقل اليهودي ، ويعد فيلون الأول الذي حاول المزاوجة بين الفلسفة الكلاسيكية والدين التوحيدي، مزاوجة كانت في أصلها

[83] – ماجد فخري ، تاريخ الفلسفة الاسلامية ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، 1997، ص 24.

محاولة للدفاع عن إيمانه ومعتقداته وهو في دفاعه عن معتقداته وشعبه استخدم الفلسفة نفسها كأداة للرد على اليونانيين. وبذلك استحق أن يكون أول فيلسوف يهودي.[84].

فيلون والتأويل المجازي والرمزي:

وجه فيلون السكندري اهتماماته الفكرية إلى تفسير "الكتاب المقدس العبري" وتأويل ما جاء فيه من نصوص، وكان ذلك بالاستعانة بالفلسفة الهيلينية، خاصة الفلسفة الأفلاطونية والرواقية منها.

وقد كان من نتاج ذلك إخضاع الفلسفة للكتابات المقدسة وتطويعها من أجل فهم ما أوحي به، في هذا الإطار، يميز فيلون بين المعنى الحرفي الذي يشبهه بجسد الإنسان، والمعنى المجازي الذي يشبهه بالنفس.

يقر فيلون السكندري بأنه من دواعي استخدام التأويل المجازي هو غموض النصوص المقدسة بالنسبة للقارئ من جهة، وقصور "العقل" على التعمق وفهم واستيعاب بعض القضايا اللاهوتية التي تتضمنها "الحقائق الموحى بها" من جهة أخرى.

نجد هذه الفكرة كذلك عند القديس أوغسطين الذي يقر بضرورة الاستناد على التأويل المجازي عندما يقع القارئ "للكتب المقدسة" على بعض "الآيات" التي لا يُحيل معناها الحرفي إلى الصواب الأخلاقي وحقيقة العقيدة.[85].

أفلوطين :

هو واحد من أهم الفلاسفة الذين مثلوا الروح اليونانية بعد الميلاد، ولد في عام 203 ميلادية في ليكوبوليس، ومات في عام 270، ويُقال إن أصله مصري، درس أفلوطين الفلسفة في الإسكندرية، ثم شد الرحال بعد ذلك إلى روما ليستقر فيها، ومن الملاحظ أنه وفد من الإسكندرية، أي تلك المدينة التي كانت ساحة تلاقت فوقها الفلسفة اليونانية مع الصوفية الشرقية على مدى عدة قرون.

---

[84] – جعفر آل ياسين ، فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط ، مرجع سابق ، ص41.

[85] – محمد محمود ، مدرسة الاسكندرية الفلسفية ، ط1 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، 2004 ، ص19.

المحاضرة الرابعة عشر : تابع مدرسة الاسكندرية

عناصر المحاضرة

تمهيد

فلسفة أفلوطين

نظرية الفيض عند أفلوطين

تمهيد :

نواصل في هذه المحاضرة الكلام عن فلسفة أفلوطين.

فلسفة أفلوطين :

يمكن القول عن فلسفته أنها امتداد للفكر الفلسفي في الإسكندرية، وقد مهد لهذه المدرسة الجديدة فيلون السكندري، حتى جاء أفلوطين ليشيد أساس هذا الفكر. ولذلك يعتبر فيلون هو أقرب فيلسوف إلى أفلوطين. لكن فيلون بدأ بالحقيقة الدينية، ولم يأخذ في الواقع بسبيل الفلسفة إلا لأجل الاستعانة بها لخدمة الحقيقة الدينية. وهذا أخذ مساحة واسعة من تفكير فيلون، أي أن فيلون أنزل الدين على الفلسفة، إلا أن ثمة تشابه كبير بين فيلون و أفلوطين مع ملاحظة اضطراب فيلون بين فكرة الله المشخص التي قدمتها له الديانة اليهودية، وبين فكرة الله المجرد الذي لا يمكن تسميته، لأن أي صفة من شأنها أن تقلل من كمال الفكرة، وأفلوطين استطاع أن يفصل كذلك آثار هذه القوى الإلهية في الأشياء، ويرتب ذلك كله في نظام منطقي معقول يكاد يكون نسيجاً واحداً محكم الأجزاء، بينما فيلون تأثر بأخلاق الفلسفة الرواقية، وقال بفكرة الكشف والوجود واصفاً التجربة الصوفية بأنها هي الأساس في معرفة حقيقية[86].

نظرية الفيض عند أفلوطين:

قد انتشرت نظرية الفيض في العصور القديمة والوسطى انتشاراً لا يشبهه في عموميته إلا انتشار نظرية التطور في القرنين التاسع عشر والعشرين ، وقد جعل أفلوطين من هذه

[86] – نجيب بلدي ، تمهيد لتاريخ مدرسة الاسكندرية وفلسفتها ، دار المعارف ، مصر دط ، القاهرة ، 1962 ، ص 79.

المقولة جوهر تصوره لحركة الوجود في نظريته عن صدور الأقانيم، والحال أن أفلوطين ينظر إلى الحقيقة من زاويتين مختلفتين: فهو يتصور الكون، من جهة، موزعاً إلى مساكن طاهرة ومساكن دنسة ترقى النفس إليها أو تهبط، ويبدو له الكون، من جهة أخرى، سلسلةً من الصور، ترتبط كل صورةٍ منها بالصورة التي سبقتها ارتباطاً متدرجاً في المراتب، وهي موضوع للنظر العقلي. ويرى أفلوطين أن بين هذين التصورين وحدة عميقة، فهو يسعى إلى إثبات قيمة دينية للمذهب العقلي من خلال نظريته في الأقانيم أو المبادئ[87].

إن قوام عالم المعقولات هو الوحدة المتعددة، أو الوحدة في الكثرة، فلا بد من وضع (الواحد) المطلق الخالي من كل تمييز أو تنوع فوقها، إن التعدد (أو الكثرة) لايكون أولاً، فقبل العدد اثنين توجد الوحدة، ووحدة النظام حقيقة أعلى منه وسابقة عليه، فهو (يصدر) أو (يفيض) منها. فأقنوم (الواحد) أعلى من عالم المعقول، لأنه (المبدأ) أو (الأول). ومن الناحية الأخرى يجب أن يوجد أقنوم آخر تحت عالم المعقول، فلكي يتحقق النظام في المادة، ولكي يولد العالم المحسوس، لا بدّ من وجود وسيط فاعل ومتحرك بين »العقل» والمادة، بقدر ماتكون هذه المادة جديرةً بقبوله فيها، هذا الوسيط هو النفس، أو الأقنوم الثالث .

ولكن لماذا لم يبقَ الواحد في عزلته؟ لماذا ولّد عالم المعقول، وعالم المعقول ولّد النفس؟ يجيب أفلوطين باللجوء إلى ضرب الأمثال: «ما أن يبلغ الموجود درجة كماله حتى نراه يلد، إنه لايتحمل أن يبقى في ذاته، وإنما يبدع موجوداً آخر... النار تدفئ، والثلج يبرد،... كل الأشياء، بقدر طاقتها، تحاكي المبدأ في الأبدية والخير.[88]

استنتاج عام :

ونستنتج – مما سبق ذكره– أن بلاد اليونان هي مهد الفكر الفلسفي والثقافة العقلانية خاصة مع سقراط وأفلاطون وأرسطو، وقد تأثرت في ذلك بالحضارات الشرقية السابقة

[87] – أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، مرجع سابق ، ص39.

[88] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص311.

وبحضارات الشعوب المجاورة، ويعني هذا أن إرث الفلسفة لم يكن يونانيا محضا، بل ساهمت فيه الشعوب الشرقية بقسط وافر، كما أن تأثير الفلسفة اليونانية في الشعوب اللاحقة سيكون له أثر كبير في تطوير حضاراتها، وساهمت الفلسفة الإغريقية في عقلنة الفكر الإنساني بعد أن كان تفكيرا أسطوريا خرافيا وتخييلا شاعريا مجازيا وفكرا لاهوتيا يؤمن بالأفكار الوثنية والمعتقدات الدينية والنحل العرفانية الصوفية، ونلاحظ كذلك أن الفلسفة اليونانية لم تنشأ إلا في جو سياسي ديمقراطي ، وتعايشت مع العلوم والفنون والآداب وانصهرت في بوتقة فكرية واحدة كانت فيها الفلسفة أم العلوم والمعارف، ومن أهم المناهج التي استعملها الحكماء والفلاسفة اليونانيون منهج البرهان والإقناع والحجاج العقلاني ومناهج التعليم والتبليغ التي تتمثل في أسلوب التهيئة والحوار والأسطورة والشعر علاوة على مناهج الاستكشاف التي تستند إلى تشغيل الحدس واللجوء إلى التمثيل والاستعانة بالأمثلة والاستقراء والاستنباط والتحليل الرياضي.

ما يمكن أن نستخلصه من خلال محاضرات مدارس الفلسفة اليونانية

احتكار الفعل الفلسفي على حضارة دون أخرى فيه إختزال لمسألة الإرث الإنساني في العملية الفلسفية ، وهذا من خلال الإعتماد في بداية الأمر على الأسطورة التي كان تميز بها الفكر الشرقي.

المدرسة الطبيعية في شقها الأول وهو المدرسة الأيونية التي تبحث في أصل الوجود تقول بالتعدد والكثرة ، أما شقها الثاني المتمثل في المدرسة الإيلية تقول بالثبات وعدم التغير ، وبذلك تكون المدرسة الطبيعية أول مدرسة أبرزت الجدل في البحث الفلسفي.

المدرسة الفيثاغورية استطاعت أن توحد بين العالم الرياضي والعالم الفلسفي والعالم الصوفي في وحدة متماسكة.

ومع المدرسة السفسطائية عاد البحث الى الانسان

ومع المدرسة السقراطية بقي البحث في الانسان لكن البحث في الجوهري أي عن الانسان الحقيقي.

مع أفلاطون تقسم العالم الى قسمين عالم مثالي حقيقي وعالم واقعي زائف

مع أرسطو يتبن أن العالم الواقعي هو مصدر الوجود والحقيقة وعاد الفكر الى الصرامة من خلال المنطق .

المدرسة الايبقورية مدرسة أخلاقية بامتياز في الحياة العملية .

الرواقية قامت فلسفتها على الفضيلة وهي في مجملها فلسفة وحدت بين الطبيعة والأخلاق والمنطق.

المدرسة الاسكندرية فيها امتزاج بين روح الشرق الديني والفلسفات اليونانية.

المصادر والمراجع المعتمدة :

القرآن الكريم

1) عبد الرحمان بدوي ، مدخل جديد إلى الفلسفة ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دط ، دت .

2) نبيل مسيعد ، مدخل إلى الفلسفة ، مطبوعات جامعة باجي مختار عنابة ، 2022.

3) جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ،1973.

4) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار العالم العربي ، ط1 ، القاهرة ، 2010 .

5) جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، القاهرة ، 1976.

6) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم ، القاهرة ،.

7) محمد بيطار ، الفلسفة اليونانية ، مقدمات ومذاهب ، دار الكتاب اللبناني ، دط ، بيروت ، 1973.

8) لبيب عبد الستار ، الحضارات ، دار الشرق ، ط6 ، بيروت ، 1974.

9) ويل ديورانت ، قصة الفلسفة ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط6 ،1988.

10) عبد الرحمان مرحبا ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، الجزائر، ط3 ، بيروت ، 1983.

11) عبد المنعم الحنفي ، الموسوعة الفلسفية ، دار بن زيدون ، ط1 ، القاهرة ، 1986.

12) علي سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي رفي الإسلام ، ج1 ، ط9 ، دس .

13) جعفر آل ياسين ، فلاسفة يونانيون من طاليس إلى سقراط ، مكتبة الفكر الجامعي ، منشورات عويدات ، ط1 ، بيروت ، 1971.

14) أحمد موساوي ، تاريخ المنطق (سلسلة البحث والدراسات في المنطق وتطبيقاته) ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر .

15) ديوجين لا يرتيوس ، مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ، ترجمة عبد الله حسين ، المجلس الأعلى للترجمة ، القاهرة ، 2006.

16) المبشر بن فاتك ، مختار الحكم ومحاسن الكلم ، المؤسسة العربية ، ط2 ، بيروت ، 1980.

17) سالم يفوت ، فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 1986.

18) أرسطو، في النفس ، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ط1 ، دت .

19) أحمد فؤاد الأهواني ، المدارس الفلسفية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، دط ، الأسكندرية ، 1965.

20) وولترستيس ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة مجاهد عبد المنعم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط3 ، بيروت ، 2005.

21) أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية ، تاريخها ومشكلاتها ، دار قباء للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1990.

22) عبد الرحمان بدوي ، الموسوعة الفلسفية ، ج2 ، المؤسسة العربية للدراسات ، ط1 ، .

23) فيصل عباس ، الفلسفة والإنسان ، جدلية العلاقة بين الإنسان والحضارة ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1 ، 1996.

24) فتح الله خليف ، سقراط ومنزلته في الفكر الفلسفي ، حوليات كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، ع4 ، جامعة قطر ، 1991.

25) رمزي نجار ، الفلسفة عبر التاريخ ، دار الأفاق الجديدة ، ط2 ، بيروت ، 1979.

26) أحمد فؤاد الأهواني ، أفلاطون ، نوابغ الفكر الغربي ، ط4 ، دار المعارف ، القاهرة .

27) أفلاطون ، المحاورات الكاملة ، المجلد 1 ، ترجمة شوقي داود ، دار الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1994.

28) سيمان الظاهر ، فلسفة الموجود عند أفلاطون ، مجلة جامعة دمشق ، مجلد1 ، ع4 ، 2005.

29) أفلاطون الجمهورية ، الكتاب الرابع ، تحقيق فؤاد زكرياء ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ط4 ، 1985.

30) مصطفى النشار ، فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة ، دار الثقافة العربية ، دط ، 2006 .

31) عبد العالي عبد الرحمان ، الانسان لدى فلاسفة اليونان في العصر الهيليني ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ط1 ، 2005.

32) تايلور، الفلسفة اليونانية ، ترجمة عبد الحكيم ، مكتبة النهضة المصرية ، ط1 ، 1958.

33) أحمد موساوي ، معجم المناطقة ، المؤسسة الوطنية للفنون ، الجزائر ، 2015.

34) جون تريكو ، المنطق الصوري ، ترجمة محمود يعقوبي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992.

35) برتراند راسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، ج1 ، ترجمة زكي نجيب محمود ، القاهرة ، دار النهضة ، مصر ، 1952.

36) أبيقور ، الحكمة الأساسية ، ترجمة جلال الدين السعيد ، الأعمال الكاملة لأبيقور ، سلسلة مصادر الفلسفة ، تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1991.

37) جلال الدين سعيد ، أبيقور ، الرسائل والحكم ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط1 ، 1991.

38) لبيب عبد الغني مصطفى ، في فلسفة الطبيعة عند الرواقيين ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، دت

39) عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، 1945.
40) روزنتال ، الموسوعة الفلسفية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط6 ، 1980.
41) فؤاد زكريا ، مدرسة الأسكندرية في الفلسفة والعلم مع ترجمة التساعية لأفلوطين ، دط ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر ، الأسكندرية ، 2004
42) أنور عبد الجليل ، فيلون الأسكندري وفلسفته التوفيقية ، حوليات أصول الدين بالمنوفية ، ع36 ، 2017.
43) ماجد فخري ، تاريخ الفلسفة الاسلامية ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، 1979.
44) محمد محمود أيوقحف ، مدرسة الأسكندرية الفلسفية ، ط1 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، 2004
45) نجيب بلدي ، تمهيد لتاريخ مدرسة الاسكندرية وفلسفتها ، دار المعارف ، مصر ، دط ، القاهرة ، 1962.
46) Jean brun.les stoiens.textes choisis p.u.p.1957
47) Platon , La République , Tr: Robert Baccou , Garnier – Flammarion , Paris.
48) Rodis-Lewis (G.), Epicure et son école, Idées-Gallimard.
49) **S**chuhl; Pierre Maxime; L'œuvre de Platon, Librairie philosophique J.Vrin; Paris, 1984.